القول الجلي

في

أن الخَِضر نبي

وأنه متوفى وليس بحي

تأليف

أم مريم

هناء بنت عبد الفتاح المصرية

تقديم العلامة المحدث

يحى بن علي الحجوري

حفظه الله

تقديم العلامة يحي بن علي الحجوري

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ص تسليماً مزيداً إلى يوم الدين .

أما بعد .

فقد طالعت في هذه الرسالة [القول الجلي في أن الخضر نبي وأنه متوفى وليس بحي] للطالبة أم مريم المصرية فرأيت الرسالة طيبة في بابها مفيدة في موضوعها ، والله الموفق .

كتبه

يحي بن علي الحجوري

١٤٣٢/٣/١٩هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا الله حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾[آل عمران:١٠٢] .

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا الله الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ الله كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ [النساء:١] .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا الله وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ الله وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾ [الأحزاب:٧١] .

أما بعد ..

فإن خير الحديث كلام الله ، وخير الهدي هدي محمد بن عبد الله ص وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار .

فلا يخفى على كل ذي لب وعقيدة صحيحة خطورة أهل البدع وضلالات أهل البدع على المجتمع الإسلامي ، ألا وأن الصوفية ممن يعدون من أهل البدع ، فمن ضلالاتهم أنهم قسموا الدين إلى شريعة ظاهرة ، وحقيقة صوفية باطنه مستدلين

لذلك بقصة موسى مع الخضر - عليهما السلام - ، فقالوا – زعموا – أن موسى صاحب الشريعة الظاهرة لم يتمكن من الإنكار على صاحب الحقيقة الصوفية الباطنة أفعاله ، وسيأتي بيان فساد هذا المعتقد .

وقصة موسى والخضر - عليهما السلام - ثابتة بالكتاب والسنة ؛ إلا أن الصوفية حرفوا معانيها لتتناسب مع أهوائهم فجعلوها نبراساً لهم في عقائدهم الباطلة وغلو في شخصية الخضر عليه السلام ، فانزلوه فوق منزلته التي أنزله الله أياه ، وقالوا بولايته ومن ثمَّ جعلوا مقام الولاية أفضل من مقام النبوة حتى قال أحدهم :

مَقَـــامُ النُّبُوَّةَ فــي بَـرْزَخٍ فُوَيْقَ الرَّسُوَل وَدُونَ الوَلِي

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – كما في [مجموع الفتاوى] [١١/ ٢٢٥] : **" وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها وسائر أولياء الله تعالى على أن الأنبياء أفضل من الأولياء "** اهـ

وقال الإمام الطحاوي – رحمه الله - : **"ولا نفضل أحداً من الأولياء على أحد من الأنبياء - عليهم السلام - ، ونقول نبي واحد أفضل من جميع الأولياء "**[العقيدة الطحاوية] .

قال الشيخ الألباني – رحمه الله – معلقاً : " يشير الشيخ – رحمه الله – إلى الرد على الاتحادية وجهلة المتصوفة ، وإلا فأهل الاستقامة يوصون بمتابعة العلم ومتابعة الشرع فقد أوجب الله على الخلق كلهم متابعة الرسل ، قال تعالى:﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا**

مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾[النساء :٦٤]، وكثير من هؤلاء يظن أنه يصل برياسته واجتهاده في العبادة وتصفية نفسه إلى ما وصلت إليه الأنبياء من غير إتباع لطريقتهم ومنهم من يظن أنه قد صار أفضل من الأنبياء ".شرح الطحاوية

فهذه رسالة متواضعة جمعت فيها بعون الله وتوفيقه أدلة إثبات نبوة الخضر ـ وأنه متوفى وليس بحي ، وقد عاونني في جمع ما لم أقف عليه في هذه الرسالة زوجي الفاضل حسام بن مصطفى المصري – جزاه الله خيراً – فنسأل الله – عز وجل – أن ينفع بها الإسلام والمسلمين ، وأن يجعلها خالصة لوجهه الكريم .

الفصل الأول

تعريف الصوفية :

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – كما في [مجموع الفتاوى][١١/ ٥]: " أما لفظ الصوفية فإنه لم يكن مشهوراً في القرون الثلاثة وإنما اشتهر التكلم به بعد ذلك وقد نقل التكلم به غير واحد من الأئمة والشيوخ كالإمام أحمد وأبي سليمان الداراني وغيرهما .

نسبة الصوفية :

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – كما في [مجموع الفتاوى][١١/ ٦]:" قيل إنه نسبة إلى أهل الصُفة وهو غلط ؛ لأنه لو كان كذلك لقيل صِفُيّ ، وقيل نسبة إلى الصف المقدم بين يدي الله ؛ وهو أيضاً غلط ، فإنه لو كان كذلك لقيل صَفِّيّ ، وقيل نسبة إلى الصفوة من خلق الله ؛ وهو غلط ، لأنه لو كان كذلك لقيل صَفَوي ، وقيل نسبة إلى صوفة بن بشر بن أد بن طابخة [قبيلة من العرب] كانوا يجاورون بمكة من الزمن القديم ينسب إليهم النُساك ، وهذا وإن كان موافقاً للنسب من جهة اللفظ ، فإنه ضعيف أيضاً ، لأن هؤلاء غير مشهورين ، ولا معروفين عند أكثر النُساك ، ولأنه لو نسب النُساك إلى هؤلاء لكان هذا النسب في زمن الصحابة والتابعين وتابعيهم أولى ، ولأن غالب من تكلم باسم (الصوفي) لا يعرف هذه القبيلة ، ولا يرضى أن يكون مضافاً إلى قبيلة في الجاهلية لا وجود لها في الإسلام .

وقيل وهو المعروف أنه نسبة إلى لبس الصوف فإنه أول ما ظهرت الصوفية من البصرة ، وأول من بني دويرة الصوفية بعض أصحاب عبد الواحد .

حقيقة الصوفية وظهورها :

قال ابن الجوزي – رحمه الله – كما في [تلبيس إبليس][١٥٦-١٥٨] : " والتصوف طريقة كانت ابتداؤها الزهد الكلي ثم ترخص المنتسبون إليها بالسماع والرقص ، فمال إليهم طلاب الآخرة في العوام لما يظهرونه من التزهيد ، ومال إليهم طلاب الدنيا لما يرون عندهم من الراحة واللعب ، وهذا الاسم ظهر للقوم قبل سنة مائتين ولما أظهره أوائلهم ، تكلموا فيه ، وعبروا عن صفته بعبارات كثيرة وحاصلها أن التصوف عندهم رياضة النفس ومجاهدة الطبع برده عن الأخلاق الرذيلة ، وحمله على الأخلاق الجميلة من : الزهد والحلم والصبر والإخلاص والصدق إلى غير ذلك من الخصال الحسنة ، التي تكسب المدائح في الدنيا والثواب في الآخرة ... وعلى هذا كان أوائل القوم ، فلبس إبليس عليهم في أشياء ثم لبس على من بعدهم من تابعيهم ، فكلما مضى قرن : زاد طمعه في القرن الثاني ، فزاد تلبيسه عليهم إلى أن تمكن من المتأخرين غاية التمكن ... وكان أصل تلبيسه عليهم أن صدهم عن العلم وأراهم أن المقصود العمل فلما أطفئ مصباح العلم عندهم تخبطوا في الظلمات ". اهـ

وقال الشيخ يحيى بن علي الحجوري – حفظه الله – في كتابه [الحقائق الوفية ببيان بعض موبقات الصوفية][٥] نقلاً عن كتاب [الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة] :" ظهر مصطلح التصوف والصوفية أول ما ظهر في الكوفة بسبب قربها من بلاد فارس والتأصل بالفلسفة اليونانية ، ثم بسلوكيات رهبان أهل الكتاب " .

وقد تنازع العلماء المؤرخون في أول من تسمى به على أقوال ثلاثة :

قول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله - ومن وافقه : أن أول من عرف بالصوفي أبو هاشم الكوفي المتوفى سنة ١٥٠هـ أو ١٦٢هـ بالشام بعد أن انتقل إليها ويذكر بعض المؤرخين أن عبدك – عبد الكريم أو محمد – المتوفى سنة ٢١٠هـ ، هو أول من تسمى بالصوفي ... ، بينما يذكر الملطي في [التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع] أن عبدك كان رأس فرقة من الزنادقة الذين زعموا أن الدنيا كلها حرام لا يحل أحد منها إلا القوت . انتهى

عقيدة الصوفية :

لقد مضى زمن رسول الله ص وزمن الصحابة والتابعين لهم بإحسان ولم يعرف عنهم أي سلوك يتميزون به غير إتباع الكتاب والسنة والتشرف بنسبتهم إلى ذلك غير ملتفتين إلى التنطع في سلوكهم أو مخترعين طرائق ورهبانية مبتدعة .

إلى أن أحدث أناس في الدين بدعة التصوف منحرفين عن المنهج السليم وراحوا يتخبطون في دوائر وهمية وفرق عديدة وأحزاباً متناحرة كل حزب بما لديهم فرحون ... فإن العلماء لم يتفقوا على بيان محدد لمفهوم التصوف عند الصوفيين وذلك لإطلاق هؤلاء الصوفية عبارات شتى حسب ذوق كل فريق وتخيلاته لمفهوم التصوف إلا أن الحصيلة العامة لأقوالهم تلتقي حول أن التصوف هو القرب من الله وترك الاكتساب والتمسك بالخلق الرفيع والجود ورفع التكاليف عن بعض فضائلهم حتى يتصلون بالله عز وجل على حد زعمهم ويصلون إلى درجة اليقين وظهور المكاشفات .

قال القشيري : سمعت أبا حاتم السجستياني يقول : سمعت أبا نصر السراج يقول : سئل ابن الجلاء ما معنى قولهم صوفي فقال : ليس نعرفه في شرط العلم ولكن نعرف أن من كان فقيراً مجرداً من الأسباب وكان مع الله تعالى بلا مكان ولا يمنعه الحق سبحانه عن علم كل مكان سمي صوفي .

وقال أيضاً : سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق يقول : أحسن ما قيل في هذا الباب قول من قال هذا طريق لا يصلح إلا لأقوام قد كنس الله بأرواحهم المزابل .

وإن المتتبع لعقائد زعماء الصوفية يجد أنهم يعتقدون بوجود معبود لا حقيقة له قائمة بذاته ، معبود لم يذكر في الشريعة الإسلامية ولم تدل عليه العقول ولا الفطر السليمة ، إنه معبود غير رب العالمين .

فمن عقائدهم الحلول : ولقد أصبح الحلول من لوازم الصوفية الغلاة ومن المبادئ الأساسية عندهم وكتبهم مملوءة بذلك نثراً ونظماً واستعمل بعض المتصوفة لفظ الحلول ليشيروا به إلى الصلة بين الرب والعبد واللاهوت والناسوت بمعنى أن الله تعالى يحل في بعض الأجساد الخاصة وهو مبدأ نصراني وأول من أعلن به من الصوفية الحسين بن منصور الحلاج حين عبر عن ذلك في أبياته الشعرية التي يقرر فيها أن الله تعالى حال في كل شيء وأنه لا فارق بين الخالق والمخلوق :

أنا من أهوى ومن أهوى أنا نحن روحان حللنا بدنا

فإذا أبصرتني أبصرته وإذا أبصرته أبصرتنا

ومن عقائدهم وحدة الوجود : ووحدة الوجود عقيدة إلحادية تأتي بعد التشبع بفكرة الحلول في بعض الموجودات ومفادها أنه لا شيء إلا الله وكل ما في الوجود يمثل الله عز وجل لا انفصال بين الخالق والمخلوق وأن وجود الكائنات هو عين وجود الله تعالى ليس وجودها غيره ولا شيء سواه ألبتة وهي فكرة هندية بوذية مجوسية وهذا هو المبدأ الذي قام عليه مذهب ابن عربي الذي قال : سبحان الذي خلق الأشياء وهو عينها وتجرأ على تفسير كتاب الله بغير علم فاستدل بآيات من القرآن زاعماً أن الله أطلق اسم الوجود على نفسه .. واستدل بأحاديث موضوعة ... والواقع أنه ما من مسلم يشك في كفر أو ارتداد من قال بوحدة الوجود وعلماء

الإسلام حين حكموا بكفر غلاة المتصوفة من القائلين بوحدة الوجود والحلول والإتحاد حكموا أيضاً بكفر من لا يرى تكفيرهم ولقد قال شيخ الإسلام عن هؤلاء : إن كفر هؤلاء أعظم من كفر اليهود والنصارى ومشركي العرب .

وابن عربي من أساطين القائلين بوحدة الوجود والحلول الإتحاد وصحة الأديان كلها مهما كانت في الكفر إذ المرجع والمآل واحد وأنا اعتقد جميع ما اعتقدوه ومن هنا فهو يقول عقد الخلائق في الإله عقائداً :

العبد رب الرب عبد يا ليت شعري من المكلف

إن قلت عبد فذاك رب أو قلت رب فأنى يكلف

ومن عقائدهم وحدة الشهود أو الفناء : وهو ما يسمونه في بدء أمره مطالعة الحقائق من وراء ستر رقيق أي لا يصل إلى درجة الحلول الإتحاد في أول الأمر إلا بعد أن يترقى درجات ثم يصبح كما يقول على حرازم ناقلاً جواب شيخه التيجاني [اعلم أن سيدنا رضي الله عنه سئل عن حقيقة الشيخ الواصل ما هو ؟ فأجاب رضي الله عنه بقوله : أما حقيقة الشيخ الواصل فهو الذي رفعت له جميع الحجب عن كمال النظر إلى الحضرة الإلهية نظراً عينياً وتحقيقاً يقينياً] .

ولقد أصبحت وحدة الشهود عن المتصوفة هي أخص مظهر من مظاهر الحياة الصوفية وهي الحالة التي يسمونها بالفناء وعين التوحيد وحال الجمع وهي الاتصال بين العبد وبين ربه عن طريق الشهود الصريح فيما يزعمون ويصل الإنسان إليها بزعمهم بكثرة الذكر حتى يقع الشهود القلبي ثم يستغنى عن الذكر

بمشاهدة المذكور حسب تخيلاتهم السقيمة الإلحادية فاتضح مما سبق أن الفوارق لا تكاد تعرف بين تلك المسميات فهي داخلة في النهاية كلها في دائرة واحدة وهي القول بالحلول مهما تعددت صوره .

ومن عقائد الصوفية : أن الصلاة والصوم والحج والزكاة هي عبادات العوام وأما هم فيسمون أنفسهم الخاصة أو خاصة الخاصة ولذلك فإن لهم عبادات خاصة ومناهج وطرائق خاصة ومفاهيم تختلف تماماً عن مفاهيم العامة خصوصاً بعد وصول أحدهم درجة اليقين – كما يزعمون – وقد شرَّع كل قوم منهم شرائع خاصة بهم في الذكر والخلوة والأطعمة والملابس المخصوصة والحلقات الخاصة وقد يتفقون في بعضها وقد يختلفون إلا أن كل صاحب طريقة يجعل على إتباعه أغلالا وحواجز شديدة بحيث لا يستطيع أحدهم أن يغير طريقته بطريقة أخرى وحتى مجرد الذكر إلا بأذن الشيخ وكل ذلك إنما يفعلونه كما يزعمون من أجل ربط القلب بالله للتلقي عنه مباشرة ولاستمداد العلوم والمعارف عن الله رأساً على يد شيخ خوله الله ومنحه القدرة على ذلك ...

ثم اخترعوا مفهوماً ضالاً وهو أنه قد يصل الأمر أحياناً إلى حد أن للولي شريعته الخاصة وللنبي محمد ص شريعته الخاصة فلا يمنع أن يحصل الخلاف بينما ويكون الجميع على الصواب فالولي يتلقى شريعته عن الله مباشرة وهي شريعة للخاصة ومحمد ص تلقى شريعته عن الله مباشرة وهي شريعة للعوام ولذلك تجد في حلقات الصوفية الغلاة من الفواحش الخروج عن تعاليم الإسلام ما لا يمت إلى الإسلام بصلة ، لأن هذه الأفعال من الاختلاط والحشيش والفساد قد تكون

مباحة في شريعة الولي مع حرمتها في شريعة النبي ولكل شريعته وما دام الشيخ الصوفي قد وصل إلى حد التلقي عن الله مباشرة واطلع على كثير من أسرار هذا الكون وعرف الكثير من المغيبات فإنه والحال هذه ليس عنده طمع في جنة ولا خوف من النار ومن هنا تنشأ الاستهانة التامة بجميع التكاليف الشرعية .

وأما عقيدتهم في الخضر : حدث ولا حرج ، لقد ملأ الصوفيون كتبهم بحكايات عن الخضر لا حد لها ولا حصر إذ لا يخلو كتاب من كتبهم من نسج القصص والأساطير عليه ومفادها أن الخضر يجيب كل من يستغيث به في أي بلاد كان .

وشرع السكندري وغيره – من علماء الصوفية – في ذكر فضائل الخضر ـ وأفعاله مع أولياء الصوفية وأورد قصصا في ذلك كثيرة ورد على الذين ينكرون وجوده بدليل أن إبليس موجود الآن فلا ينبغي جحد وجود الخضر وهذا الدليل من أبعد ما يكون عن الصواب لأن وجود إبليس بنص القرآن والسنة ووجود الخضر ـ إلى الآن لا دليل عليه عقلاً ولا نقلاً . انتهى [فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام] بتصريف

جانب من انحرافات الصوفية

طريقة المتصوفة تجمع أساليب اختصوا بها وابتدعوها ، طبقاً لما تأثروا به من ثقافات أجنبية عن الدين الإسلامي وإبراهيم بن أدهم تعلم المعرفة من راهب يقال له سمعان ، وابن سينا يرى أن الصوفي يمكن أن يمر بثلاثة أسماء حسب تحققه بثلاثة صفات كل صفة تقابل اسماً .

فالزاهد : هو المظهر العام للتصوف أو لرياضة المتصوفة ، فأبو يزيد البسطامي يقول إنه وجد المعرفة بالله [ببطن جائع وبدن عار] وسهل بن عبد الله التستري كان ينهى عن الأكل الذي يقصد به تقوية البدن ، ويرى أن العجز عن أداء العبادات لضعف البدن الناشىء عن قلة الأكل أفضل من القدرة على أدائها مع امتلاء البطن وأن صلاة الجائع الذي قد أضعفه الجوع قاعداً أفضل من صلاته قائماً ، ونسوا قوله ص : « المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف » .

الترهب وترك الزواج : والفكرة العامة عندهم أن التجرد عن الأزواج والأولاد ، أعون على الوقت للفقير ، وأجمع لهمة وألذ لعيشة ... والتزوج انحطاط من العزيمة إلى الرخص والرجوع من التزوج إلى النقص وتقيد بالأولاد والأزواج ودوران حول نطاق الاعوجاج والتفات إلى الدنيا بعد الزهادة ، هكذا خص أبو حفص عمر السهرودي رأى الصوفية في الزواج وأنه عائق عن الوصول ثم يرى لأبي سليمان الداراني رأيه في ذلك ومنه قوله : ما رأيت أحداً من أصحابنا تزوج

فثبت على مرتبته .

ويروى الشعراني لرباح بن عمرو القيسي- قوله : « لا يبلغ الرجل إلى منازل الصديقين حتى يترك زوجته كأنها أرملة ، وأولاده كأنهم أيتام ، ويأوي إلى منازل الكلاب » .

ومرجعنا في إبطال هذا الاتجاه قوله ص : « إن الله عز وجل لم يبعثني بالرهبانية » . وقوله ص راداً على من أرادوا التشديد على أنفسهم في العبادة وحياة الرهبانية : « ... أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له ، لكني أصوم وأفطر ، وأصلي وأرقد ، وأتزوج النساء ، فمن رب عن سنتي فليس مني » .

وهناك أمراض عدة تصيب تارك الزواج منها : [الماليخوليا] ، و[فقدان الشهية] و [سوء الهضم] إلخ ، هذا إلى أن هؤلاء ينحرفون إلى صحبة الصبيان والتعلق بالمرد منهم .

السماع والغناء : قد جعل الصوفية ، الاستماع إلى الغناء والأشعار الملحنة ، والأصوات طريقاً إلى حب الله أو إلى معرفته ، وذلك لما في الغناء والألحان الإثارة وتحريك الوجد ، والذهاب مع الخيال كل مذهب .

وقد سأل بعض الصوفية عن المشايخ الذين لقيهم كيف كان يجدهم وقت السماع ؟

فقال : مثل قطيع الغنم إذا وقع في وسطه الذئاب .

ويظهر أن التحرك والصياح وقت السماع كان مظهراً مألوفاً ونتيجة طبيعة لهذا

السماع ، فقد سأل الجنيد : « كنت تسمع هذه القصائد وتحضر مع أصحابك في أوقات السماع ، وكنت تتحرك والآن فأنت هكذا ساكن الصفة ، فقرأ عليهم الجنيد هذه الآية : ﴿ **وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ** ﴾ وقد وقسموا هذا السماع بالنسبة للخاصة على ثلاثة أوجه : وجه للمريدين يستدعون بذلك الأحوال الشريفة ، الثاني للصديقين يطلبون الزيادة في أحوالهم ، الثالث لأهل الاستقامة من العارفين فهم لا يعترضون ولا يتأبون على الله فيما يرد على قلوبهم حين السماع من الحركة والسكون » .

الخلوة والعزلة : والخلوة والعزلة من المجاهدات العملية التي من شأنها أن تهيئ السالك لأحوال الوجد والفناء والمعرفة ، لأنه في رأيهم تبديل الخصال المذمومة والاتصاف بالكمال الخلقي في أسمى صورة ، فهي صفة أهل الصفوة ومن أمارة الوصلة ، وقد جعلوها ضرورية للمريد في ابتدأ أمره فهي مقدمة الطريقة الموصلة إلى الله . أو الموصلة إلى الإيمان والمجددة له ، فقد اهتم بها الصوفية وعقدوا لها الفصول الخاصة في كتبهم ، وساقوا الأقوال المأثورة في بيان فضيلتها وحث طوائفهم على التزامها ، ومن ذلك قول ذي النون المصري : « لم أر شيئاً أبعث على الإخلاص من الخلوة » ؛ وقول أبي عبد الله : « ليكن أخذك الخلوة ، وطعامك الجوع وحديثك المناجاة ، فإما أن تموت ، وإما أن تصل إلى الله ».

وتمثل الخلوة اتجاه الصوفية السلبي نحو الحياة والناس :

فالجنيد يقول : « ومن أراد أن يسلم له دينه ويستريح بدنه وقلبه ، فليعتزل الناس » .

فبدلاً من أن ينفذوا قول الله تعالى : ﴿ **وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ** ﴾ وقول الرسول ص : « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وهذا أضعف الإيمان » ، تركوا الناس لشرهم ونجوا بأنفسهم ؛ بل وصلوا بحالة السلبية هذه في بعض الحالات إلى أن تركوا نفوسهم على ما هي عليه من شر وخلو بها بعيداً عن الناس ، حتى لا يصيب الناس من شرهم شيء .

وقد أبرز هذا أبو القاسم القشيري كتعليل للخلوة في قوله : ومن حق المتعبد إذا آثر العزلة ، أن يعتقد باعتزاله عن الخلق سلامة الناس من شره ولا يقصد سلامته من شر الخلق .

وكان الواجب أن يروض الواحد منهم نفسه على معاملة الناس بالحسنى ، بدلاً من أن ينأى عنهم .

وهم في هذه الخلوات قد ركبوا من الشطط فخرجوا بها على الدين ، وبدلاً من أن توصلهم إلى الله أوصلتهم إلى الشيطان .[قطر الولي][١٥٠] للشوكاني .

ويعلق الإمام الشوكاني على قول أبي القاسم القشيري : " ولا يتم قرب العبد من الحق إلا ببعده عن الخلق "

بقوله : فهذا إنما يكون فيمن لا نفع فيه للعباد ، أما من كان يفيدهم بعلم ، أو أمر بمعروف أو نهي عن منكر أو جهاد في سبيل الله وقيام بما أوجب الله على مثله القيام به فهذا يكون قربة من الخلق أقرب إلى الحق .

الخلوة والعلم اللدني :

ومن لوازم الوصول إلى الله عند الصوفية أو من مظاهره ، رؤية الله سبحانه أو ملائكته ، وتنزل العلم اللدني على قلوب الأولياء والواصلين ، والخطوة المباشرة لذلك هي الخلوة .

ويرسم لنا أبو حامد الغزالي الطريقة إلى مثل ذلك النوع من الخلوات وما يتخذ في ذلك من المجاهدات والرياضيات فيقول : والطريق إلى ذلك يكون أولاً : بانقطاع علائق الدنيا بالكلية ، وقطع الهمة عن الأهل والوطن وعن العلم ، ثم يخلو بنفسه في زاوية مع الاقتصار على الفرائض والرواتب ويجلس فارغ القلب مجموع الهمة ، ولا يطرق فكره بقراءة قرآن ولا بالتأمل في تفسير ، ولا بكتب حديث ... فلا يزال بعد جلوسه في الخلوة قائلاً بلسانه : الله الله على الدوام مع حضور القلب ، حتى ينتهي إلى حالة يترك فيها تحريك اللسان ، ويرى أن الكلمة جارية على لسانه ...، ويبقى معنى الكلمة مجرداً في قلبه حاضراً فيه ... وعند ذلك إذا صدقت أرادته وصفت همته ، تلمع لوامع الحق في قلبه وذلك عن طريق إحدى بابي العلوم فيه ، وهو الباب الخاص بالأحلام ، وبالعلم الذي لا يأتي عن طريق اليقظة والحواس وهو علم الأنبياء عليهم السلام .

وبعضهم يرى أن هذه الخلوة تكون أربعين يوماً ، تقطع في الصيام مع التقليل من الطعام في أثنائه ، والاقتصار على ما يقيم الأود معتمدين في ذلك على الحديث الذي ينسبونه إلى رسول الله ص : « من أخلص لله أربعين صباحاً ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه » ، على أن موسى عليه السلام ، لم يتلق الألواح إلا بعد صيام الأربعين ليلة صياماً متواصلاً ، لم يدخل معدته فيها طعام ، فدل هذا على أن خلو المعدة من الطعام أصل كبير في الباب حتى احتاج موسى إلى ذلك استعداداً لمكالمة الله سبحانه [والعلوم اللدنية في قلوب المنقطعين إلى الله تعالى ضرب من المكالمة . ويستدلون على ذلك أيضاً وعلى تعظيم أمر هذه الخلوة بأن الرسول ص لم يأتيه الوحي إلا بعدها في غار حراء .

وطريقة أبي حامد هذه طريقة غير مشروعة فإنها فضلاً عما قبلها من مجانبة القرآن والحديث ، فإنها تقتصر على أداء الفرض ، والنافلة من المعروف أنها من دلائل كمال طاعة العبد لله ، كما أن الذكر بالاسم المفرد مظهراً أو مضمراً بدعة في الشرع وخطأ في القول واللغة ، فإن الاسم المجرد ليس هو كلاماً لا إيماناً ولا كفراً ، فليس من جنس الكلام المعقول] .

والصوفية في هذا ، يشبهون السحرة أو الكهان أو ضحايا الزار حتى يتركز أشباههم على كلمات معينة ، أو إيقاع مخصوص ، فيخرجون عن طورهم ويغيبون عن الظاهر ويعيشون في الخيال ،وفي ذلك العالم الذي خرجوا إليه من الوسوسة والاضطراب .

فهذه هي خلوة الصوفية ورياضتهم وصيامهم الذي تسمع في الأعاجيب والتي نقف أمامها بين مصدق ، ومكذب .

ويرى ابن تيمية أن هذه الطريقة تقتضي إلى الكفر ، لا أنها توصل إلى الله .

وأما تمسكهم بخلواته ص بغار حراء قبل الرسالة فإن ما فعله النبي ص لسنا مأمورين باتباعه إلا إذا كان قد شرعه بعد الرسالة ولكنه من حين جاءته الرسالة لم يصعد إليه ولا خلفاؤه الراشدون . [المصدر السابق][١٧٦].

مصادر التلقي عند الصوفية :

مصادر الرئيسية عند فرق الصوفية – عموماً – ثلاثة مصادر وهي : الكشف والذوق والوجد وتحت كل منها : أقسام ، ودرجات ، وقد خالفت الصوفية بهذه المصادر ، كتاب الله – سبحانه وتعالى – وسنة الرسول ص ، وقدموها ، عليهما عند التعارض ، مرتكبين لذلك مسالك التأويل وممتطين مطايا الجدال بالباطل ، حتى أفقد هذا الصنيع ، الثقة عن تصريحهم باتباع الكتاب والسنة في أقوالهم ، وأن علمهم هذا يعني التصوف مقيد بالكتاب والسنة .

وغالب الظن – والله أعلم – أنهم أرادوا بإطلاق هذا العبارات وأمثالها دفع الشنعة عن أنفسهم بتعيب العلماء لهم ، ما لو صرحوا بتقديم علوم الكشف على علوم الكتاب والسنة .

وقد بلغ الشطط ببعضهم مبلغاً أدعى معه الاستغناء عن التلقي من الكتاب والسنة زعماً منه ، الأخذ عن الله – تعالى – إلهاماً ، أو مناماً أو بعروج روحه إليه – عز وجل – أو يدعي سماع خطاب الله – ، كما سمعه موسى بن عمران كليم

الرحمن ، أو يدعي أخذ الشريعة عن النبي ص يقظة أو مناماً فلا يكون الكامل – عند هؤلاء – محتاجاً لأخذ العلم من بطون الكتب الطروس ، والحال أنه يستمدها من معادنها الأصلية .

وقد يكون بعض هؤلاء من الأميين فيتصدر للمشيخة ، ويتتلمذ عليه من برعوا في العلوم النقلية والعقلية ، كالشعراني الذي أتخذ له شيخاً أمياً ، وهو : على الخواص ، يسألوا عن أدق مسائل الشريعة ، وحكمها ، وعللها ، ويصدر عن رأيه.

والصوفية يعتمدون الكشف مصدراً وثيقاً للعلوم والمعارف ، بل ويجعلونه غاية لذاته ؛ كما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية بأن عبادة الصوفية ، هدفها تحصيل المكاشفات والتأثرات .

ومن الأقوال الشنيعة المغرية بنبذ علوم الكتاب والسنة ، قول أبي الفضيل الأحمدي : " لا تقطعوا بما علمتموه من الكتاب والسنة ، ولو كان حقاً في نفسه ".

وما أكثر الأقوال في هذا الباب فالأخذ عندهم للعلوم عن طريقة الكشف أخذ لها من معادنها الربانية ، ولذلك اعتبر الغزالي ، علوم المكاشفة موصلة إلى اليقين ، وعلل بذلك ميل أهل التصوف إلى العلوم الإلهامية ، دون التعليمية ، فلم يحرصوا على دراسة العلم ، وتحصل ما صنف المصنفون ، والبحث عن الأدلة والأقاويل .

والكشف الصوفي جنس تحته أنواع ، وكل نوع يحتمل أنواع ودرجات ، وهي بجملتها تتناول الكشف عن الأمور الشرعية ، والكونية ، وكل ما يصح أن يكون

موضوعاً للمعرفة ، بما في ذلك ، أسماء الله – تعالى – ، وصفاته .

ونشير هنا إشارة إجمالية إلى كل نوع منها :

أولاً : النبي ص : ولا يعنون به الأخذ عن سنته المشرفة من الكتب المصنفة في ذلك ، كالصحاح والمسانيد ، والمعاجم والفوائد ، والمشيخات وغيرها . بل هذا : خاصة أهل الرسوم . أما الكمل ، فإنهم يجتمعون بالنبي ص ، يقظة بعد موته ، ويشافهونه بالخطاب ، ويشافههم النبي ص أيضاً ، ويسألونه عن الأحاديث التي وقع الطعن فيها من جهة طريقها ، وضعفها الحفاظ فيصححها لهم بل ويرونَ عنه الأحاديث ويستمدون منه المعرفة بالأحكام الشرعية والوقائع المستقبلية ويستشيرونه في كل الأمور .

وهم متفاوتون في هذا الاجتماع كل بحسب مقامه ومرتبته ومما يتفاوتون فيه أيضاً أن بعضهم يجتمع به ص بروحه وجسده ، ويراه عياناً ، أو يراه من حيث روحه المتصورة بصور بدنه الشريف أو يرى مثالاً – على التحقيق – يتمثل له به .

ومنهم من يراه بعين الرأس ، ومنهم من يراه بعين القلب أو يجتمع به من حيث الأرواح لا من حيث الأبدان .

وقد ذكروا لهذه الاجتماعات أسباباً ووضعوا لها شروطاً تتحقق باستيفائها وتنتفي بتخلفها .

وبلغ من اهتمام الصوفية بهذا الأمر ، أن صنفوا فيه التصانيف المفردة ، أشهرها ، كتاب : [تنوير الحلك في جواز رؤية النبي والملك] لجلال السيوطي .

ثانياً : الخضر عليه الصلاة والسلام : وقد حفلت هذه الشخصية لدى الصوفية

باعتناء شديد ، فقالوا ببقائه إلى آخر الزمان ، وتأولوا الأدلة القاضية بوفاته أما الحكايات في لقياه ، والأخذ عنه ، فأشهر من أن تذكر ، وأكثر من أن تحصر ـ وقد استمدوا عنه الأحاديث النبوية ، باعتباره صحابياً ، وتلقوا عنه أحكاماً شرعية ، وعلوماً لدنية ، وأخذوا منه الأوراد ، والأذكار ، والمناقب وأعلوا على لسانه من مقامات الشيوخ ، والطرق .

وله عندهم صور مختلفة يرى فيها . وقد وقع الخلاف بينهم في مرتبته على أقوال ، والأكثرون على أنه ولي .

وهذا مما تذرع به الزنادقة ، فادعوا تفضيل الولي على النبي وصنف بعض الصوفية في إثبات حياته – عليه السلام – ، واستمرارها ، ليثبتوا بذلك ، إمكان الأخذ منه ، والتلقي عنه فألف عبد الله بن أسعد اليافعي جزء حياة الخضر ، وألف نوح بن مصطفى الحنفي : [القول الدال على حياة الخضر ووجود الأبدال].

ثالثاً : الإلهام : وهو ما يحصل للعلوم في القلب من غير استدلال ولا نظر وهو حجة عند الصوفية ، وقد جعلوا له طريقين : إحداهما : حصوله عن طريق الملك . وقد اختلفوا في مشاهدة الولي للملك حال إفادته إياه بالعلم ، وغلَّط بعضهم فيه بعضا ، ومن غاليتهم من يقول بنزول جبريل – عليه السلام – ، على الولي المفتوح عليه وأن الأولياء يستشرونه .

لكن الإلهام من هذا الوجه قاصر في مرتبة عن المرتبة الأخرى وهي : ثانيهما حصوله – أي الإلهام – من الوجه الخاص بين الله تعالى وتقدس وبين العبد ،

بارتفاع الوسائط وهي أشرف من سابقتها ، ومن هذا الباب ولج يدعي تفضيل الولي على النبي والرسول ؛ لأن الولي في اعتقادهم يأخذ العلم من حيث أخذه الملك الذي يوحي به إلى النبي فالنبي يأخذ عن الله بواسطة الملك والولي يأخذ عن الله بلا واسطة .

رابعاً : الفراسة : ولهم في تعريفها أقوال كثيرة لكن الاستعمال الأشهر لها أنها تختص بمعرفة خواطر النفوس ، وأحاديثها ، وما يضمره المرء في قلبه من ضمائر . فالولي – عند هؤلاء – أعطي من النور ، ما له به الإسراف على القلوب ومعرفة كوامن النفوس .

خامساً : الهواتف : ومعناه سماع خطاب بواسطة الأذن ، قد يكون مناماً أو في حالة بين النوم واليقظة ، أو في اليقظة – بصوت مسموع – يسمع الصوت ولا يرى صاحبه ، ولا يخلو أن يكون المخاطب إما : الله – سبحانه وتعالى – ، أو ملك من الملائكة أو جن صالح ، أو ولي من الأولياء أو الخضر عليه السلام أو إبليس .

والهواتف – عند الصوفية – من أسباب تصحيح المعاملات وتزكية النفوس وتلقي المعرفة .

سادساً : الإسراءات والمعارج : ويعنون به عروج روح الولي إلى العالم العلوي وجولانها هناك ، وإتيانها بعلوم شتى ، من أسرا ر الأكوان ، وعجائب المكونات ، وإفاضة العلوم عليهم هنالك بواسطة الأنبياء ، والملائكة ، وبلوغ منتهى الأرب بالفناء في ذات الله – تعال – والتحقق بعين الجمع .

ومما يلحظ على هذه الإسراءات والمعاريج ، محاولة أصحابها محاكاة إسراء ومعرج

النبي ص ، مستخدمين في ذلك لغة الرمز الصوفية ومن المؤلفات في ذلك كتاب [الإسراء إلى مقام الأسرا] لابن عربي .

سابعاً : الكشف الحسي : ومعناه الكشف عن حقائق الوجود ، من العرش إلى الفرش ، بارتفاع الحجب الحسية عن عين القلب وعين البصر والإطلاع على ذلك ، قد يكون بعين البصر أو بعين البصيرة أو بهما معاً ، فيدعون أن الولي يخرق أطباق السموات ، ويتكلم على حقائق الموجودات العلوية ويخرق طباق الأرضين ، فيتكلموا على حقائق الموجودات الصوفية .

ثامناً : الرؤى والمنامات : وهو مصدر مهم بنوا عليه كثيراً من ترهاتهم وروجوا به الضلالات كما زعم ابن عربي أنه لما صنف كتابه [الفصوص الحكم] أمره الرسول ص ، أن يخرج به إلى الناس لينتفعوا به .

وقد يعتمدون على المنامات لمعرفة صحيح الأحاديث النبوية من سقيمها أو معرفة الأحكام الشرعية ، وأمور أخرى غير هذه .

وأكثر ما يصرحون بالتلقي عنه منامات الله – سبحانه وتعالى – ، والنبي ص قد يستمد أحدهم إما من الأنبياء غير نبينا ص – أو من شيخه ومرشده ، أو من الصحابة الكرام ، أو غيرهم فهذه أنواع الكشف وأقسامه عند الصوفية .

المصدر الثاني :

الذوق : وله إطلاقان : عام وخاص :

أما العام : فينتظم جميع الأحوال والمقامات بل يرى الغزالي ، أنه بإمكان السالك أن يتذوق حقيقة النبوة ويدرك خاصيتها بالمنازلة ، لا عن تسامع وتخابر فقط .

أما الذوق بالمعنى الخاص : فيرتبط عندهم بالتجلي الإلهي على تفاوت درجات التجلي التي يذكرونها ، فالأول مبادئ التجلي ، يسمى عندهم بالذوق فإن أقام التخلي نفسين فصاعداً فهو الشرب ثم هل بعد هذا الشرب ري أم لا ؟على قولين وقد أبدى ابن عربي في الذوق رأياً غريباً إذ زعم أن العلوم تتجلي في صور مشروبات حسية محصورة في أربعة أصناف هي الماء واللبن والعسل والخمر وكل صنف منها ، يتجلى علم ، ليس يتجلى في غيره.

المصدر الثالث : الوجد

وهو ثالث المصادر الرئيسية وله عندهم ثلاث مراتب :

أ- التواجد : وهو استدعاء الوجود بنوع تعمل وتصنع استجلاب الأحوال الشريفة .

ب-الوجد : وهو إما أن يرجع إلى الأحوال بمعنى أن ينزل المريد أو السالك ما يرد على سمة من الأبيات والأشعار على حاله مع الله من شوق ، أو وصل أو غير ذلك ، وإما أن يرجع إلى مكاشفات ومشاهدات وهذا من قبيل العلوم والتنبيهات فيستفيد علماً لم يكن عنده قبل ذلك . وهذا يتوصل إليه بنوع فناء ، لكنه لا يدوم لعجز الإنسان عن البقاء تحت سلطانه .

ب-الوجود : وهو أرقى مراتبه ، وأرفع درجاته ويكون بمشاهدة الحق سبحانه في الوجد ، وهذه المشاهدة تكون على وجه الدوام ، ويستعان لتحقيق الوجد بأنواعه الثلاثة بوسائل صناعية كألآت اللهو والطرب ، من الأوتار المصونات ، والدفوف ، ويصاحب ذلك أصوات القوالين بالأشعار المطربة الملحنة ، فيكون لذلك تأثير على النفوس بكسرها أشد مما يصيب العقل من شربة الخمر في الكؤوس ، فتستغويهم الشياطين ، بالإلقاء ما قد يظنونه مكاشفات رحمانية ، وعلوماً عرفانية ربانية ، حصلت في قلوبهم يزعمون أنها حديثة العهد بربها ، لا كعلوم أهل الرسوم ، متوازنة جيلاً عن جيل ، وميتاً عن ميت . اهـ [المصادر العامة للتلقي عند الصوفية عرضاً ونقداً][١٨٣-١٩٧] بتصريف .

تقسيم الصوفية الشريعة إلى ظاهرة وباطنة

قال إحسان إلهي ظهير – رحمه الله – في كتابه [التصوف المنشأ والمصادر][٢٨٨-٢٩٥] : وأما الفكرة الأخرى التي تسربت إلى التصوف من التشيع واعتنقها الصوفية بتمامها هي فكرة تقسيم الشريعة إلى الظاهر والباطن ، والعام والخاص .

ومنها درجت وتطرقت إلى التأويل الباطني والتفسير المعنوي ، وتفريق المسلمين بين العامة والخاصة ؛ فإن الشيعة بجميع فرقها ، وخاصة الإسماعيلية منهم يعتقدون أن لكل ظاهر باطناً ، وقد اختص بمعرفة الباطن علي – رضي الله عنه – وأولاده أي : أئمتهم المعصومون حسب زعمهم ، فسموا الموالين لهم بالخاصة ، وغير المؤمنين بهذه الفكرة بالعامة .

فلقد قالوا : (لابد لكل محسوس من ظاهر وباطن ؛ فظاهره ما تقع الحواس عليه ، وباطنه ما يحويه العلم به بأنه فيه ، وظاهره مشتمل عليه).

وكذبوا على رسول الله ص أنه قال : ما نزلت علي آية إلا ولها ظهر وبطن ، ولكل حرف حد ولكل حد مطلع .

ثم سموا الظاهر والباطن بين النبي والوحي ، حيث قالوا : (كانت الدعوة الظاهرة قسط الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، والدعوة الباطنة قسط الذي فاض منه جزيل الأنعام) .

ثم قالوا : (إن الظاهر هو الشريعة والباطن هو الحقيقة وصاحب الشريعة هو الرسول محمد صلوات الله عليه ، وصاحب الحقيقة هو الوحي علي بن أبي طالب

) .

وإن الشيعة الآخرين كالشيعة الاثنى العشرية يقولون بهذا القول كما روى [كلينيهم] في [كافيه] عن موسى الكاظم – الإمام السابع عندهم – أنه قال : (إن القرآن له ظهر وبطن) .

وخلاصة هذا أن علم الباطن هو التصوف بعينه . انتهى بتصريف

رد الإمام القرطبي على هذه العقيدة

قال الإمام القرطبي – رحمه الله – في [تفسيره][١١/ ٤٠-٤١] : قال شيخنا الإمام أبو العباس : ذهب قوم من زنادقة الباطنية إلى سلوك طريق لا تلزم منه هذه الأحكام الشرعية ، فقالوا : هذه الأحكام الشرعية العامة إنما يحكم بها على الأنبياء والعامة وأما الأولياء وأهل الخصوص فلا يحتاجون إلى تلك النصوص ، بل إنما يراد فهم ما يقع في قلوبهم ويحكم عليهم بما يغلب على خواطرهم .

وقالوا ذلك لصفاء قلوبهم عن الأكدار وخلوها عن الأعيار فتتجلى لهم العلوم الإلهية ، والحقائق الربانية ، فيقفون عن أسرار الكائنات ، يعلمون أحكام الجزئيات فيستغنون بها عن أحكام الشرائع الكليات ، كما اتفق للخضر فإنه استغنى بما تجلى له من العلوم عما كان عند موسى من تلك الفهوم ، وقد جاء فيما ينقلون استفتي قلبك وإن أفتاك المفتون .

قال : وهذا القول زندقة وكفر يقتل قائله ولا يستتاب ، لأن إنكار من علم من

الشرائع ، فإن الله تعالى قد أجرى سنته وأنفذ حكمته ، بأن أحكامه لا تعلم إلا بواسطة رسله السفراء بينه وبين خلقه وهم المبلغون عن رسالته وكلامه ، المبينون شرائعه وأحكامه أختارهم لذلك وخصهم بها هنالك كما قال تعالى : ﴿**اللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ**﴾ ، وقال تعالى : ﴿**كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ**﴾ ، إلى غير ذلك من الآيات وعلى الجملة فقد حصل العلم القطعي واليقين الضروري ، واجتماع السلف والخلف على أن لا طريق لمعرفة أحكام الله تعالى التي راجعة إلى أمره ونهيه ولا يعرف شيء منها إلا من جهة الرسل .انتهى

وقال شيخ الإسلام – رحمه الله – في [مجموع الفتاوى][١١/ ١٥] : فمن جعل طريق أحد من العلماء والفقهاء أو طريق أحد من العباد والنساك أفضل من طريق الصحابة فهو مخطىء ضال مبتدع . اهـ

قال الإمام الشاطبي - رحمه الله – في [الموافقات][٢/ ٤٧٥] : إن الشريعة حاكمة لا محكوم عليها ، فلو كان ما يقع من الخوارق والأمور الغيبية حاكماً عليها بتخصيص عموم ، أو تقييد إطلاق ، أو تأويل ظاهر ، أو ما أشبه ذلك ، لكان غيرها حاكماً عليها وصارت هي محكوماً عليها بغيرها ، وذلك باطل باتفاق .اهـ

وقال – رحمه الله – : إن كثيراً يتوهمون أن الصوفية أبيح لهم أشياء ولم تبح لغيرهم لأنهم ترقوا عن رتبة العوام المنهمكين في الشهوات إلى رتبة الملائكة الذين سلبوا الاتصاف بطلبها والميل إليها ، فاستجازوا لما ارتسم في طريقتهم إباحة بعض الممنوعات في الشرع بناء على اختصاصهم عن الجمهور ... وهذا باب

فتحته الزنادقة بقولهم : إن التكاليف خاص بالعوام ساقط عن الخواص . اهـ [المصدر السابق][٢٤٨-٢٤٩] .

قال الإمام الشنقيطي –رحمه الله – كما في [أضواء البيان] : المقرر في الأصول أن الإلهام من الأولياء لا يجوز الاستدلال به على شيء ، لعدم العصمة ، وعدم الدليل على الاستدلال بل ولوجود الدليل على عدم جواز الاستدلال به ، وما يزعمه بعض المتصوفة من جواز العمل بالإلهام في حق المُلهم دون غيره ، وما يزعمه بعض الجبرية أيضاً من الاحتجاج بالإلهام في حق الملهم وغيره جاعلين الإلهام كالوحي أيضاً من المسموع مستدلين بظاهر قوله تعالى : ﴿ **فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ** ﴾ وبخبر : " اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله " ، كله باطل لا يعول عليه ، لعدم اعتضاده بدليل . وغير المعصوم لا ثقة بخواطر لأنه لا يأمن دسيسة الشيطان وقد ضمت الهداية في إتباع ولم تضمن في إتباع الخاطر والإلهامات ، والإلهام في الاصطلاح : إيقاع شيء في القلب يثلج له الصدر من غير استدلال بوحي ولا نظر في حجة عقلية ، يختص الله به من يشاء من خلقه . أما ما يلهمه الأنبياء مما يلقيه الله في قلوبهم فليس كإلهام غيرهم ، لأنهم معصومون بخلاف غيرهم وبالجملة ، فلا يخفى على من له إلمام بمعرفة دين الإسلام أنه لا طريق تعرف به أوامر الله ونواهيه ، وما يتقرب إليه به من فعل وترك إلا عن طريق الوحي فمن ادعى أنه غني في الوصول إلى ما يرضي ربه عن الرسل وما جاءوا به ولو في مسألة واحدة فلا شك في زندقته . والآيات والأحاديث الدالة

على هذا لا تحصى ، قال تعالى : ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ ، ولم يقل حتى يلقي في القلوب إلهاماً وقال تعالى : ﴿ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾ .اهـ

قصة الخضر مع موسى ثابتة بالكتاب والسنة

وقد ذكر ربنا – عز وجل – قصة الخضر مع موسى – عليهما الصلاة والسلام – في كتابه الكريم فقال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا * فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا * فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا *قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا * قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا * فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا * قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا *قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا * وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا * قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا * قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا * فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا * قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا * قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا * فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا * قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا * قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ

عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا * فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا * قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا * أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا * وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا * فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا * وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴾[الكهف: ٦٠-٨٢].

وأيضاً جاءت في السنة كما في صحيح البخاري برقم [٣٤٠١]، ومسلم [٢٣٨٠] وهذا لفظ البخاري قال : حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللهَّ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ دِينَارٍ قَالَ أَخْبَرَنِي سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ قَالَ قُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ إِنَّ نَوْفًا الْبَكَالِيَّ يَزْعُمُ أَنَّ مُوسَى صَاحِبَ الْخَضِرِ لَيْسَ هُوَ مُوسَى بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنَّمَا هُوَ مُوسَى آخَرُ فَقَالَ كَذَبَ عَدُوُّ اللهَّ حَدَّثَنَا أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ عَنْ النَّبِيِّ ص : أَنَّ مُوسَى قَامَ خَطِيبًا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ فَسُئِلَ أَيُّ النَّاسِ أَعْلَمُ فَقَالَ أَنَا فَعَتَبَ اللهُّ عَلَيْهِ إِذْ لَمْ يَرُدَّ الْعِلْمَ إِلَيْهِ فَقَالَ لَهُ بَلَى لِي عَبْدٌ بِمَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ قَالَ أَيْ رَبِّ وَمَنْ لِي بِهِ وَرُبَّمَا قَالَ سُفْيَانُ أَيْ رَبِّ وَكَيْفَ لِي بِهِ قَالَ تَأْخُذُ حُوتًا فَتَجْعَلُهُ فِي مِكْتَلٍ حَيْثُمَا فَقَدْتَ الْحُوتَ فَهُوَ ثَمَّ وَرُبَّمَا قَالَ فَهُوَ ثَمَّهْ وَأَخَذَ حُوتًا فَجَعَلَهُ فِي مِكْتَلٍ ثُمَّ انْطَلَقَ هُوَ وَفَتَاهُ يُوشَعُ بْنُ نُونٍ حَتَّى إِذَا أَتَيَا الصَّخْرَةَ وَضَعَا رُءُوسَهُمَا فَرَقَدَ

مُوسَى وَاضْطَرَبَ الْحُوتُ فَخَرَجَ فَسَقَطَ فِي الْبَحْرِ {فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا} فَأَمْسَكَ اللهُ عَنْ الْحُوتِ جِرْيَةَ الْمَاءِ فَصَارَ مِثْلَ الطَّاقِ فَقَالَ هَكَذَا مِثْلُ الطَّاقِ فَانْطَلَقَا يَمْشِيَانِ بَقِيَّةَ لَيْلَتِهِمَا وَيَوْمَهُمَا حَتَّى إِذَا كَانَ مِنْ الْغَدِ {قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا} وَلَمْ يَجِدْ مُوسَى النَّصَبَ حَتَّى جَاوَزَ حَيْثُ أَمَرَهُ اللهُ قَالَ لَهُ فَتَاهُ {أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا} فَكَانَ لِلْحُوتِ سَرَبًا وَلَهُمَا عَجَبًا قَالَ لَهُ مُوسَى {ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِي فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا} رَجَعَا يَقُصَّانِ آثَارَهُمَا حَتَّى انْتَهَيَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِذَا رَجُلٌ مُسَجًّى بِثَوْبٍ فَسَلَّمَ مُوسَى فَرَدَّ عَلَيْهِ فَقَالَ وَأَنَّى بِأَرْضِكَ السَّلَامُ قَالَ أَنَا مُوسَى قَالَ مُوسَى بَنِي إِسْرَائِيلَ قَالَ نَعَمْ أَتَيْتُكَ لِتُعَلِّمَنِي {مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا} قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللهِ عَلَّمَنِيهِ اللهُ لَا تَعْلَمُهُ وَأَنْتَ عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللهِ عَلَّمَكَهُ اللهُ لَا أَعْلَمُهُ قَالَ هَلْ أَتَّبِعُكَ {قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا إِلَى قَوْلِهِ إِمْرًا} فَانْطَلَقَا يَمْشِيَانِ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ فَمَرَّتْ بِهِمَا سَفِينَةٌ كَلَّمُوهُمْ أَنْ يَحْمِلُوهُمْ فَعَرَفُوا الْخَضِرَ فَحَمَلُوهُ بِغَيْرِ نَوْلٍ فَلَمَّا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ جَاءَ عُصْفُورٌ فَوَقَعَ عَلَى حَرْفِ السَّفِينَةِ فَنَقَرَ فِي الْبَحْرِ نَقْرَةً أَوْ نَقْرَتَيْنِ قَالَ لَهُ الْخَضِرُ يَا مُوسَى مَا نَقَصَ عِلْمِي وَعِلْمُكَ مِنْ عِلْمِ اللهِ إِلَّا مِثْلَ مَا نَقَصَ هَذَا الْعُصْفُورُ بِمِنْقَارِهِ مِنْ الْبَحْرِ إِذْ أَخَذَ الْفَأْسَ فَنَزَعَ لَوْحًا قَالَ فَلَمْ يَفْجَأْ مُوسَى إِلَّا وَقَدْ قَلَعَ لَوْحًا بِالْقَدُّومِ فَقَالَ لَهُ مُوسَى مَا صَنَعْتَ قَوْمٌ حَمَلُونَا بِغَيْرِ نَوْلٍ عَمَدْتَ إِلَى سَفِينَتِهِمْ فَخَرَقْتَهَا {لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا} فَكَانَتْ الْأُولَى مِنْ مُوسَى نِسْيَانًا فَلَمَّا خَرَجَا مِنْ الْبَحْرِ مَرُّوا بِغُلَامٍ يَلْعَبُ مَعَ الصِّبْيَانِ فَأَخَذَ الْخَضِرُ بِرَأْسِهِ فَقَلَعَهُ بِيَدِهِ هَكَذَا وَأَوْمَأَ سُفْيَانُ بِأَطْرَافِ أَصَابِعِهِ كَأَنَّهُ يَقْطِفُ شَيْئًا فَقَالَ لَهُ

مُوسَى {أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ} مَائِلًا أَوْمَأَ بِيَدِهِ هَكَذَا وَأَشَارَ سُفْيَانُ كَأَنَّهُ يَمْسَحُ شَيْئًا إِلَى فَوْقُ فَلَمْ أَسْمَعْ سُفْيَانَ يَذْكُرُ مَائِلًا إِلَّا مَرَّةً قَالَ قَوْمٌ أَتَيْنَاهُمْ فَلَمْ يُطْعِمُونَا وَلَمْ يُضَيِّفُونَا عَمَدْتَ إِلَى حَائِطِهِمْ {لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا} قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَدِدْنَا أَنَّ مُوسَى كَانَ صَبَرَ فَقَصَّ اللهُ عَلَيْنَا مِنْ خَبَرِهِمَا قَالَ سُفْيَانُ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرْحَمُ اللهُ مُوسَى لَوْ كَانَ صَبَرَ لَقُصَّ عَلَيْنَا مِنْ أَمْرِهِمَا .

اسمه

وقد وردت أقوال عدة في اسمه .

قال العيني – **رحمه الله** – كما في [عمدة القاري] [١١/ ١٣٢] : **قال مجاهد** : اسمه أليسع بن ملكان بن فالغ بن عابر بن شالخ إرفحشذ ابن سام بن نوح – عليه الصلاة والسلام – ، **وقال مقاتل** : بليا ، بفتح الباء الموحدة وسكون اللام وبالياء آخر الحروف : ابن ملكان بن يفطن بن فالع إلى آخره ، **وقيل** : إيليا بن ملكان ...إلى آخره ، **وقيل** : خضرون بن عماييل بن ليفر بن العيص بن إسحاق بن إبراهيم ، عليهم السلام ، **قاله كعب** ، **وقال ابن إسحاق** : إرمياه بن حلقيا من سبط هارون بن عمران ، وأنكره الطبري

وقال : إرميا كان في زمن بخت نصر ، وبين بخت نصر- وموسى زمان طويل ، **وقيل** : خضرون بن قابيل بن آدم ذكره أبو حاتم السجستياني ، **وقال إسماعيل بن أبي أويس** : معمر بن عبد الله بن نصر بن الأزد .

نسبه

قال العيني – رحمه الله – : واختلف في نسبه **فقال الطبري** : الخضر هو الرابع من ولد إبراهيم لصلبه ، **وقال مجاهد** : هو من ولد يافث ، وكان وزير ذي القرنين ، **وقيل** : هو من ولد رجل من أهل بابل ممن آمن بالخليل وهاجر معه ، **وقيل** : إنه كان ابن فرعون صاحب موسى ملك مصر ، وهذا غريب جداً ، **وقيل** : هو أخو إلياس – عليهما الصلاة والسلام – ، وروى الحافظ ابن عساكر بإسناده إلى السدي : أن الخضر وإلياس كانا أخوين وكانا أبوهما ملكاً ، **وقال أيضاً** : يقال : إنه الخضر بن آدم لصلبه ، وروى الدارقطني من حديث ابن عباس **قال** : الخضر ابن آدم لصلبه ونسيء له في أجله حتى يكذب الدجال ، وهو منقطع غريب ، وروى الحافظ ابن عساكر أيضاً عن سعيد بن المسيب : أن أم الخضر رومية وأباه فارسي ، **وقيل** : كنيته أبو العباس .اهـ [المصدر السابق] .

سبب تسميته بالخضر:

سبب تسميته بالخضر أنه جلس على فروة بيضاء فإذا هي تهتز من خلفه خضراء ، كما جاء ذلك في صحيح البخاري [٣٤٠٢] من حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – **عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ " إِنَّمَا سُمِّيَ الْخَضِرَ أَنَّهُ جَلَسَ عَلَى فَرْوَةٍ بَيْضَاءَ فَإِذَا هِيَ تَهْتَزُّ مِنْ خَلْفِهِ خَضْرَاءَ "** .

والفروة البيضاء : ما على وجه الأرض من الحشيش الأبيض وشبهه من الهشيم ، والفروة الأرض البيضاء التي لا نبات فيها ، وقيل : هي الهشيم اليابس . ومن ذلك القبيل تسمية جلد الرأس فروة .أضواء البيان [٤/ ١٧٨].

قال الألوسي – رحمه الله - كما في روح المعاني: الجمهور على أنه الخضر بفتح الخاء وقد تكسر وكسر الضاد وقد تسكن . انتهى

الفصل الثاني

اعتقاد الصوفية بأن الخضر ولي وليس بنبي وأن الولي أفضل من النبي

ومن انحرافات الصوفية الفاسدة اعتقادهم تجاه الخضر - عليه الصلاة والسلام - حيث أنهم اعتقدوا أن الخضر - عليه الصلاة والسلام - من الأولياء وأنكروا نبوته وبنوا على هذا الاعتقاد الفاسد أن الولي يجوز له الخروج عن الشريعة كما خرج الخضر - عليه الصلاة والسلام - عن شريعة موسى - عليه الصلاة والسلام - حسب زعمهم الباطل وأنه يمكن للولي أن يحصل على مرضات الله - عز وجل - دون إتباع النبي ص ، وبذلك اعتقدوا أن الولاية أعلى مقاماً من النبوة ، وهذا باطل .

استدلال الصوفية بولاية الخضر على أن مقام الولاية أعلى من مقام النبوة :

ومما يدل على أن الصوفية يعتقدون بأن الخضر ولي وليس بنبي قول ابن عربي - الملحد - في كتابه [الفتوحات المكية] [٢/ ١٨٠] : اعلم أيها الولي الحميم أيدك الله أن هذا الوتد هو خضر صاحب موسى - عليه السلام - أطال الله عمره إلى الآن وقد رأينا من رآه واتفق لنا في شأنه أمر عجيب وذلك أن شيخنا أبا العباس العرييني - رحمه الله تعالى - جرت بيني وبيه مسألة في حق شخص كان قد بشر بظهور رسول الله ص فقال لي هو فلان ابن فلان وسمى لي شخصاً أعرفه باسمه وما رأيته ولكن رأيت ابن عمته فربما توقفت فيه ولم آخذ بالقبول أعني قول شيخي العرييني فيه لكوني على بصيرة في أمره ولا شك أن الشيخ رجع سهمه

عليه فتأذى في باطنه ولم أشعر بذلك فإني كنت في بداية أمري في الطريق .

وقال في كتابه [الفصوص] [١٣٥] : " ... إلا أن الله لطيف لطف بعباده فأبقى لهم النبوة العامة التي لا تشريع فيها ... فإذا رأيت النبي يتكلم بكلام خارج عن التشريع ، فمن حيث هو ولي عارف ، ولهذا ، مقامه من حيث هو عالم أتم وأكمل من حيث هو رسول الله أو ذو تشريع وشرع .

فإذا سمعت أحداً من أهل الله ، يقول ، أو ينقل إليك عنه أنه قال : الولاية أعلى من النبوة ، فليس يريد ذلك القائل ، إلا ما ذكرنا " .

ويقول عن خاتم الأولياء !! : " فإنه أخذ من المعدن الذي يأخذ من الملك ، الذي يوحي به إلى الرسول " . [المصدر السابق] [٦٣] .

وقال : " ومنا من علم فلم يقل مثل هذا ، وهو أعلى القول ، بل أعطاه العلم والسكوت ما أعطاه العجز ، وهذا هو أعلى عالم بالله ، وليس هذا العالم إلا لخاتم الرسل وخاتم الأولياء ، وما يراه أحد من الأولياء والرسل : إلا من مشكاة الرسول الخاتم ، ولا يراه أحد من الأولياء إلا من مشكاة الولي الخاتم حتى أن الرسل لا يرونه متى رأوه ، إلا من مشكاة خاتم الأولياء .

فإن الرسالة والنبوة – أعني نبوة التشريع ورسالته – ينقطعان ، والولاية لا تنقطع أبداً ؛ فالمرسلون مع كونهم أولياء : لا يرون من ذكرناه إلا من مشكاة خاتم الأولياء ، فكيف من دونهم من الأولياء ؟ وإن كان خاتم الأولياء تابعاً في الحكم لما جاء به خاتم الرسل من التشريع ، فذلك لا يقدح في مقامه ، ولا يناقض ما

ذهبنا إليه ، فإنه عن وجه يكون أنزل كما أنه من وجه يكون أعلى – إلى قوله – ولما مثل النبي ص النبوة بالحائط من اللبن " . [المصدر السابق]

رد شيخ الإسلام – رحمه الله – على الصوفية القائلين بأن الولي أعلى مقاماً من النبي

قال – رحمه الله - : " ففي هذا الكلام من أنواع الإلحاد والكفر ، وتنقيص الأنبياء والرسل ما لا تقوله اليهود ولا النصارى ؛ وما أشبهه في هذا الكلام بما ذكر في قول القائل : [فخر عليهم السقف من تحتهم] إن هذا لا عقل ولا قرآن ، وكذلك ما ذكره هنا – من أن الأنبياء والرسل تستفيد من خاتم الأولياء الذي بعدهم – هو مخالف للعقل - ، فإن المتقدم لا يستفيد من المتأخر ، ومخالف للشرع ، فإنه معلوم بالاضطرار من دين الإسلام : أن الأنبياء والرسل أفضل من الأولياء ، الذين ليسوا أنبياء ولا رسُلاً .

وقد يزعم أن هذا العلم – الذي هو عنده – أعلى العلم [وهو القول بوحدة الوجود] وأن وجود الخالق هو وجود المخلوق ، وحقيقة تعطيل الصانع وجحده وهو القول الذي يظهره فرعون ، فلم يكفه زعمه أن هذا حق حتى زعم أنه أعلى العلم ، ولم يكفه ذلك حتى زعم أن الرسل إنما يرونه من مشكاة خاتم الأولياء فجعل خاتم الأولياء : أعلم بالله من جميع الأنبياء والرسل وجعلهم يرون العلم بالله من مشكاته .

ثم أخذ يبين ذلك فقال : فإن الرسالة والنبوة ،- أعنى نبوة التشريع ورسالته – ينقطعان والولاية لا تنقطع أبداً فالمرسلون مع كونه أولياء لا يرون ما ذكرناه إلا من مشكاة خاتم الأولياء فكيف بالأولياء الذين ليسوا أنبياء ولا رسلاً ؟

وذلك أنه لم يمكنهم أن يجعلوا بعد النبي ص نبياً ورسولاً ، فإن هذا كفر ظاهر ، فزعموا أنه إنما تنقطع نبوة التشريع ورسالته ، وأما نبوة التحقيق ورسالة التحقيق – وهي الولاية عندهم – فلم تنقطع ، وهذه الولاية عندهم هي أفضل من النبوة والرسالة ، ولهذا قال ابن عربي في بعض كلامه :

مَقَـــامُ النُّبُوَّةَ فـــي بَـرْزَخٍ فُوَيْقَ الرَّسُوَل وَدُونَ الوَلِي

وقال في [الفصوص] في (كلمة عزيرة) : " فإذا سمعت أحداً من أهل الله تعالى يقول أو ينقل إليك عنه ، أنه قال : الولاية أعلى من النبوة : فليس يريد ذلك القائل إلا ما ذكرناه .

أو يقول إن الولي فوق النبي والرسول ؛ فإنه يعني بذلك في شخص واحد وهو أن الرسول عليه السلام من حيث هو ولي : أتم منه من حيث هو نبي ورسول ، لا أن الولي التابع له أعلى منه ، فإن التابع ، لا يدرك أبداً فيما هو تابع له فيه ، إذ لو أدركه لم يكن تابعاً له " .

وإذا حققوا على ذلك قالوا : إن ولاية النبي فوق نبوته ، وإن نبوته فوق رسالته ، لأنه يأخذ بولايته عن الله ، ثم يجعلون مثل ولايته ثابتة لهم ، ويجعلون ولاية خاتم الأولياء أعظم من ولايته ، وإن ولاية الرسول تابعة لولاية خاتم الأولياء الذي ادعوه " .

وفي هذا الكلام أنواع قد بيناها في غير هذا الموضع :

[**منها**] : أن دعوى المدعي وجود خاتم الأولياء على ما ادعوه باطل لا أصل له .

ولم يذكر هذا أحد من المعروفين قبل هؤلاء ، إلا أبو عبد الله محمد بن علي الترمذي الحكيم ، في كتاب [ختم الولاية] وقد ذكر في هذا الكتاب ما هو خطأ وغلط ، مخالف للكتاب والسنة والإجماع .

وهو –رحمه الله تعالى– وإن كان فيه فضل ومعرفة ، وله من الكلام الحسن المقبول والحقائق النافعة أشياء محمودة ، ففي كلام من الخطأ : ما يجب رده ، ومن أشنعها ما ذكره في كتاب [ختم الولاية] مثل دعواه فيه أنه يكون في المتأخرين مَنْ درجته عن الله أعظم من درجة أبي بكر ، وعمر ، وغيرهم .

ثم إنه تناقض في موضع آخر ؛ لما حكى عن بعض الناس أن الولي يكون منفرداً عن الناس ، فأبطل ذلك واحتج بأبي بكر وعمر وقال : يلزم هذا أن يكون أفضل من أبي بكر وعمر ، وأبطل ذلك .

[**ومنها**] أنه ذكر في كتابه ما يُشعر أن ترك الأعمال الظاهرة – ولو أنها التطوعات المشروعة – أفضل في حق الكامل ذي الأعمال القلبية ، وهذا أيضاً خطأ عند أئمة الطريق ، فإن أكمل الخلق رسول الله ص ، وخير الهدي هدي محمد ص ، ما زال محافظاً على ما يمكنه من الأوراد والتطوعات البدنية إلى مماته .

[**ومنها**] ما ادعاه من خاتم الأولياء ، الذي يكون في آخر الزمان ، وتفضيله وتقديمه على ما تقدم من الأولياء ، وأنه يكون معهم كخاتم الأنبياء مع الأنبياء مع الأنبياء وهذا ضلال واضح ؛ فإن أفضل أولياء الله من هذه الأمة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ، وأمثالهم من السابقين الأولين ، من المهاجرين والأنصار ، كما ثبت ذلك بالنصوص المشهورة .

وخير القرون قرنه ص ، كما في الحديث الصحيح : " خير القرون قرني الذين بعثت فيهم ، ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ، وفي الترمذي وغيره أنه قال في أبي بكر وعمر : " هذان سيدا كهول أهل الجنة ، من الأولين والآخرين ، إلا النبيين والمرسلين " . قال الترمذي حديث حسن .

وفي صحيح البخاري عن علي رضي الله تعالى عنه أنه قال له ابنه : يا أبت من خير الناس بعد رسول الله ص فقال : " يا بني أبو بكر " قال : ثم من ؟ قال : " ثم عمر " وروى بضع وثمانون نفساً عنه أنه قال : " خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر " .

ولفظ خاتم الأولياء : لا يوجد في كلام أحد من سلف الأمة ، ولا أئمتها ولا له ذكر في كتاب الله ولا سنة رسوله ، وموجب هذا اللفظ أنه آخر مؤمن تقي ، فإن الله تعالى : ﴿ **أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ** ﴾[يونس : ٦٢] الآية فكل من كان مؤمناً تقياً كان لله ولياً .

وإذا كان خاتم الأولياء آخر مؤمن تقي في الدنيا فليس ذلك الرجل أفضل الأولياء ولا أكملهم ، بل أفضلهم وأكملهم سابقوهم ، الذين هم أخص بأفضل الرسل من غيرهم ، فإنه كلما كان الولي أعظم اختصاصاً بالرسول ، وآخذاً عنه وموفقاً له ، كان أفضل ، إذ الولي لا يكون ولياً لله إلا بمتابعة الرسول باطناً وظاهراً ؛ فعلى قدر المتابعة للرسول : يكون قدر الولاية لله .

ثم إن هذا خاتم الأولياء صار مرتبة موهومة لا حقيقة له ، وصار يدعيها لنفسه أو

لشيخه طوائف ، وقد ادعاها غير واحد ، ولم يدعيها إلا من في كلامه من الباطل ما لم تقوله اليهود ولا النصارى ، كما ادعاها صاحب [الفصوص] ، وتابعه صاحب الكلام في الحروف ، وشيخ من أتباعهم كان بدمشق ، وآخر كان يزعم أنه المهدي ، الذي يزوج بنته بعيسى ابن مريم ، وأنه خاتم الأولياء ، ويدعي هؤلاء وأمثالهم من الأمور ما لا يصلح إلا لله وحده ، كما قد يدعي المدعي منهم لنفسه أو لشيخه ما ادعته النصارى في المسيح .

ثم صاحب [الفصوص] وأمثاله بنوا الأمر : على أن الولي يأخذ عن الله بلا واسطة والنبي يأخذ بواسطة الملك ، فلهذا صار خاتم الأولياء أفضل عندهم من هذه الجهة ، وهذا باطل وكذب ، فإن الولي لا يأخذ عن الله إلا بواسطة الرسول إليه ، وإذا كان محدثاً قد ألقي إلي شيء وجب عليه أن يزنه بما جاء به الرسول من الكتاب والسنة .

ومن الأنواع التي في دعواهم أن خاتم الأولياء أفضل من خاتم الأنبياء ، من بعض الوجوه ، فإن هذا لم يقله أبو عبد الله الحكيم الترمذي ، ولا غيره من المشايخ المعروفين ، بل الرجل أجل قدراً وأعظم إيماناً ، من أن يفتري هذا الكفر الصريح ، ولا أخطأ شبراً ، ففرعوا على خطئه ما صار كفراً .

وأعظم من ذلك : زعمهم أن الأولياء والرسل من حيث ولايتهم تابعون لخاتم الأولياء ، وآخذون من مشكاته ،فهذا باطل بالعقل والدين فإن المتقدم لا يأخذ من المتأخر ، والرسل لا يأخذون من غيرهم .

وأعظم من ذلك أنهم جعلهم تابعين له في العلم بالله ، الذي هو أشرف علومهم ،

وأظهر من ذلك أنه جعل العلم بالله هو مذهب أهل وحدة الوجود ، القائلين بأن وجود المخلوق هو عين وجود الخالق .

فليتدبر المؤمن هذا الكفر القبيح ، درجة بعد درجة : واستشهاده على تفضيل غير النبي عليه بقصة عمر ، وتأبير النخل ، فهل يقول مسلم إن عمر كان أفضل من النبي ص برأيه في الأسرى ؟ أو أن الفلاحين الذين يحسنون صناعة التأبير أفضل من الأنبياء في ذلك ؟ ثم ما قنع بذلك حتى قال : " فبما يلزم الكامل أن يكون له التقدم في كل علم وكل مرتبة ، وإنما نظر الرجال إلى التقدم في مرتبة العلم بالله . هنالك مطلبهم .

فقد زعم أنه أعلم بالله من خاتم الأنبياء وأنه يقدمه عليه بالعلم بالله وتقدم خاتم الأنبياء عليه بالتشريع فقط ؛ وهذا من أعظم الكفر الذي يقع فيه غالية المتفلسفة ؛ وغالية المتصوفة ، وغالية المتكلمة ، الذين يزعمون أنهم في الأمور العلمية أكمل من الرسل ، كالعلم بالله ونحو ذلك ، وأن الرسل إنما تقدموا عليهم بالتشريع العام الذي جعل لصالح الناس في دنياهم .

وقد كان عندنا شيخ من أجل الناس كان يعظمه طائفة من الأعاجم ويقال أنه خاتم الأولياء ، يزعم أنه يفسر العلم بوجهين ، وأن ص إنما فسره بوجه واحد وأنه هو أكمل من النبي ص وهذا تلقاه من صاحب [الفصوص] ، وأمثال هذا في هذه الأوقات كثيرون ، وسبب ضلال المتفلسفة وأهل التصوف ، والكلام ، الموافقة لضلالهم ، وليس هذا موضوع الإطناب في بيان ضلال هذا ، وإنما

الغرض التنبيه على أن صاحب [الفصوص] .

فأما كفر من يفضل نفسه على النبي ص – كما ذكر صاحب الفصوص – فظاهر ؛ ولكن من هؤلاء من لا يرى ذلك ؛ ولكن يرى أن له طريقاً إلى الله غير اتباع الرسول ، ويسوغ لنفسه اتباع تلك الطريق وإن خالف شرع الرسول ، ويحتجون بقصة موسى والخضر .

ولا حجة فيها لوجهين :

[**أحدهما**] : أن موسى لم يكن مبعوثاً إلى الخضر ، ولا كان يجب على الخضر إتباع موسى فإن موسى كان مبعوثاً إلى بني إسرائيل ، ولهذا جاء في الحديث الصحيح : " أن موسى لما سلم على الخضر قال : وأنَّى بأرضك السلام ؟ قال : إنا موسى ، قال : موسى بني إسرائيل ؟ قال : نعم ، قال : إنك على علم من علم الله علمكه الله لا أعلمه ، وأنا على علم من الله علمنيه لا تعلمه " .

ولهذا قال نبينا ص : " فضلنا على الناس بخمس : جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة ، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً ، فأي رجل أدركته الصلاة فعنده مسجده وطهوره ، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي ، وأعطيت الشفاعة ، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة " .

وقال : " أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي ، نصرت بالرعب مسيرة شهر ، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً ، وأحلت لي الغنائم ، ولا تحل لأحد قبلي ، وأعطيت الشفاعة ، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة ، وبعثت إلى الناس عامة " .

وقد قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ وقال تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ محمد ص إلى جميع الثقلين ... أنسهم وجنهم ، عربهم وعجمهم ، ملوكهم وزهادهم ، الأولياء منهم وغير الأولياء ، فليس لأحد الخروج عن متابعته باطناً وظاهراً ، ولا عن متابعة ما جاء به من الكتاب والسنة ، في دقيق ولا جليل ، لا في العلوم ولا الأعمال ، وليس لأحد أن يقول له كما قال الخضر لموسى وأما موسى فلم مبعوثاً إلى الخضر .

[الثاني] : أن قصة الخضر ليس فيها مخالفة للشريعة ، بل الأمور التي فعلها تباح في الشريعة ، إذا علم العبد أسبابها كما علمه الخضر ، ولهذا لما بين أسبابها لموسى وافقه على ذلك ، ولو كان مخالفاً لشريعته لم يوافقه بحال .

مضمون ما فعله الخضر عليه السلام

فإن خرق السفينة مضمونه أن المال المعصوم يجوز للإنسان أن يحفظه لصاحبه بإتلاف بعضه ؛ فإن ذلك خير من ذهابه بالكلية ، كما جاز للراعي – على عهد النبي ص – أن يذبح الشاة ؛ التي خاف عليها الموت ، وقصة الغلام مضمونها جواز قتل الصبي الصائل ولهذا قال ابن عباس لنجدة : وأما الغلمان فإن كنت تعلم منهم ما علمه الخضر من ذلك الغلام فاقتلهم ، وإلا فلا تقتلهم .

وأما إقامة الجدار ففيها فعل المعروف بلا أجرة مع الحاجة ، وإذا كان لذرية قوم صالحين .

وقوله : (لما مثل النبي صلى الله عليه وسلم النبوة بالحائط إلى آخر كلامه) :

وهو متضمن أن العلم نوعان :

[**أحدهما**] : علم الشريعة ، وهو يأخذ عن الله كما يأخذ النبي ؛ فإنه قال : والسبب الموجب لكونه رآها لبنتين أنه تابع لشرع خاتم الرسل في الظاهر ، وهو موضع اللبنة الفضية ، وهو ظاهره ، وما يتبعه فيه من الأحكام ، كما هو آخذ عن الله في السر ما هو بالصورة الظاهرة ، متبع فيه ، لأنه يرى الأمر على ما هو عليه ،فلابد أن يراه هكذا .

وهذا الذي زعمه – من أن الولي يأخذ عن الله في السر ما يتبع فيه الرسل كأئمة العلماء مع أتباعهم – فيه من الإلحاد ما لا يخفى على من يؤمن بالله ورسله فإن هذا يدعي أنه أوتي مثل ما أتي رسل الله ، ويقول إنه أوحي إلي ولم يوح إليه شيء ، ويجعل بمنزلة معلمي الطب والحساب والنحو وغير ذلك ؛ إذا عرف المتعلم الدليل الذي قال به معلمه ، فينبغي موافقته له لمشاركته له في العلم لا لأنه رسول وواسطة من الله إليه في تبليغ الأمر والنهي .

وهذا الكفر يشبه كفر مسيلمة الكذاب ونحوه ممن يدعي أنه مشارك للرسول في الرسالة وكان يقول مؤذنه : أشهد أن محمداً ومسيلمة رسولا الله .

[**النوع الثاني**] : علم الحقيقة وهو فيه فوق الرسول ، كما قال : هو موضع اللبنة الذهبية في الباطن ، فإنه أخذ من المعدن الذي يأخذ منه الملك ، الذي يوحي به الرسول ، فقد ادعى أن هذا العلم الذي هو موضع اللبنة الذهبية – وهو علم الباطن والحقيقة – هو فيه فوق الرسول ، لأنه يأخذه من حيث يأخذ الملك العلم

العلم الذي يوحي به إلى الرسول ، والرسول يأخذه من الملك ، وهو يأخذه من فوق الملك ، من حيث يأخذه الملك ، وهذا فوق دعوى مسيلمة الكذاب ، فإن مسيلمة لم يدعي أنه أعلى من الرسول ، في علم من العلوم الإلهية ، وهذا ادعى أنه فوقه في العلم بالله .

ثم قال : [بأن فهمت ما أشرت به : فقد حصل لك العلم النافع] ومعلوم أن هذا الكفر فوق كفر اليهود والنصارى فإن اليهود والنصارى لا ترضى أن تجعل أحداً من المؤمنين فوق موسى وعيسى ، وهذا يزعم أنه هو أمثاله ممن يدعى أنه خاتم الأولياء أنه فوق جميع الرسل ، وأعلم بالله من جميع الرسل ، وعقلاء الفلاسفة لا يرضون بهذا ، وإنما يقول مثل هذا غلاتهم وأهل الحمق منهم ، الذين هم من أبعد الناس عن العقل والدين .اهـ بتصريف [مجموع الفتاوى][١١/ ٢١٩-٢٣٦] .

أقوال الصوفية في تفضيل الولي على النبي :

يقول ابن عربي – وهو يتحدث عن وحدة الوجود - : " وليس هذا العلم إلا لخاتم الرسل وخاتم الأولياء ، وما يراه أحد من الأنبياء أو الرسل إلا من مشكاة الرسول الخاتم ، ولا يراه أحد من الأولياء إلا من مشكاة الولي الخاتم ، حتى إن الرسل لا يرونه – متى رأوه – إلا من مشكاة خاتم الأولياء ؛ فإن الرسالة والنبوة – أعني نبوة التشريع ورسالته – تنقطعان والولاية لا تنقطع أبداً ، فالمرسلون مع كونه أولياء لا يرون ما ذكرناه إلا من مشكاة خاتم الأولياء . [الفصوص][٦٢]

ويقول : " ولما مثل النبي ص النبوة بالحائط من اللبن وقد كمل سوى موضع لبنة ، فكان ص تلك اللبنة غير أنه ص لا يراها كما قال إلا لبنة واحدة .

وأما خاتم الأولياء فلابد له من هذه الرؤيا ، فيرى ما مثله به رسول الله ص ويرى في الحائط موضع لبنتين ... لبنة ذهب ولبنة فضة ، فلابد أن يرى نفسه تنطبع في موضع تينك اللبنتين فيكون خاتم الأولياء تينك اللبنتين فيكمل الحائط ... كما هو أخذ عن الله في السر ما هو بالصورة الظاهرة متبع فيه ؛ لأنه يرى الأمر على ما هو عليه ... فإنه أخذ من المعدن الذي يأخذ منه الملك الذي يوحي به إلى الرسول " .[السابق:٦٣] .

وقال أيضاً : " وفينا من يأخذ عن الله فيكون خليفة عن الله بعين ذلك الحكم " . [السابق :١٦٣] .

- نصوصهم في تفضيل الأولياء على الأنبياء قولهم :

مَقَـــامُ النُّبُوَّةَ فـــي بَـرْزَخٍ فُوَيْقَ الرَّسُوَل وَدُونَ الوَلِي

شرحه أبو المواهب الشاذلي فقال : يعني أن مقام النبوة يعطي الأخذ عن الله بواسطة وحي الله ، ومقام الرسالة يعطي تبليغ ما أمر الله به العباد ، ومقام الولاية الخاصة يعطي الأخذ عن الله بالله من الوجه الخاص " . نقلاً من كتاب [تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي][١/ ٨٢-٨٣] .

وقال التجاني : " العلم بمراتب الكون وما يقع فيه جملة وتفصيلاً ، وتقلبات في أطواره وانكشاف ما سيقع فيه في المستقبل قبل وقته ، وهو كشف الغيوب الكونية ، فإن غير النبي قد يزيد على النبي في هذا الميدان وهي قصة الخضر ـ بعينها ... إلى

أن قال : وقال الشيخ الأكبر – يعني ابن عربي – أتاني الله علماً لم يعلم به آدم فمن دونه . يريد بهم النبيين والمرسلين " .[السابق][١/ ٨٣] .

رد شيخ الإسلام ابن تيمية على أن للأولياء خاتماً :

وكما جعل الله للنبيين خاتماً ، جعل الصوفية للأولياء خاتماً ، والعنكبوت الأول الذي سال لعابه بهذه الأسطورة هو الحكيم الترمذي – غير صاحب السنن – ، قال السلمي : " نفوه من ترمذ ، وشهدوا عليه بالكفر بسبب تصنيفه كتاب [ختم الولاية] وقال : إنه يقول : " إن للأولياء خاتماً ، كما أن للأنبياء خاتماً ، وأنه يفضل الولاية على النبوة " ، ويقول ابن تيمية عنه : " في كلامه من الخطأ ما يوجب رده ، ومن أشنعها ما ذكره في ختم الولاية ، مثل دعواه فيه أن يكون في المتأخرين من درجته عند الله أعظم من درجة أبي بكر وعمر وغيرهما ، ومنها ما ادعاه من خاتم الأولياء الذي يكون في آخر الزمان ، وتفضيله وتقديمه على من تقدم من الأولياء ، وأنه يكون معهم كخاتم الأنبياء مع الأنبياء " .

وتوالت عناكب الصوفية على هذه الأسطورة ، حتى قتلت بها ذباباً من الخلق كثيراً .

قال ابن عربي –وهو يتحدث عن وحدة الوجود – : " وليس هذا العلم إلا لخاتم الرسل وخاتم الأولياء ، وما يراه أحد من الأنبياء أو الرسل إلا من مشكاة الرسول الخاتم ، ولا يراه أحد من الأولياء إلا من مشكاة الولي الخاتم ، حتى إن الرسل لا يرونه – متى رأوه – إلا من مشكاة خاتم الأولياء ؛ فإن الرسالة والنبوة

– أعني نبوة التشريع ورسالته – تنقطعان والولاية لا تنقطع أبداً ، فالمرسلون مع كونه أولياء لا يرون ما ذكرناه إلا من مشكاة خاتم الأولياء .

فزعم ابن عربي أن الرسل يستمدون أشرف علومهم من خاتم الأولياء وهذا يستلزم تفضيل الولي الخاتم على الرسل بعامة وعلى النبي الخاتم بخاصة ، يقول ابن عربي : " ولما مثل النبي ص النبوة بالحائط من اللبن وقد كمل سوى موضع لبنة ، فكان ص تلك اللبنة غير أنه ص لا يراها كما قال إلا لبنة واحدة .

وأما خاتم الأولياء فلابد له من هذه الرؤيا ، فيرى ما مثله به رسول الله ص ويرى في الحائط موضع لبنتين ... لبنة ذهب ولبنة فضة ، فلابد أن يرى نفسه تنطبع في موضع تينك اللبنتين فيكون خاتم الأولياء تينك اللبنتين فيكمل الحائط ... كما هو أخذ عن الله في السر ما هو بالصورة الظاهرة متبع فيه ؛ لأنه يرى الأمر على ما هو عليه فلابد أن يراه هكذا وهو موضع اللبنة الذهبية في الباطن ، فإنه أخذ من المعدن الذي يأخذ منه الملك ، الذي يوحي به الرسول " .

ويقول : " وفينا من يأخذ بأمرين ، أولاهما : أخذه عن الله مباشرة ، أما خاتم النبيين فيأخذ عن الله بواسطة الملك ، الأمر الآخر : هو أنه على يديه تم الدين ، فابن عربي يشير بهوائه ذاك إلى الحديث الصحيح الذي مثل فيه رسول الله ص ما بعث به هو والأنبياء من قبله ببيت كانت تنقص لبنة ، وأنه ص هو الذي جاء بتلك اللبنة ، يعني أنه هو الذي أتم به على المسلمين دينهم .

ولكن ابن عربي يزعم أن الدين كان ناقصاً لبنتين ، فأتى محمد ص بواحدة ، وأتى خاتم الأولياء بهذه وبلبنة أخرى ، فلم يكمل دين الله إلى على يد خاتم الأولياء ! .

أين هذا الأفك من قول الحق – جل وعلا – : ﴿ **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا** ﴾ . [هذه هي الصوفية][١٧٤-١٧٦] .

وقال الشوكاني – رحمه الله – : " وما أقبح ما يحكى عن بعض المتلاعبين بالدين المدعين للتصوف أنهم يزعمون أنهم وصلوا إلى ربهم فانقطعت عنهم التكاليف الشرعية ، وخرجوا من جيل المسلمين المؤمنين ، وسقط عنهم ما كلف الله به العباد في هذه الدار ، فإذا صح هذا مما يقوله أحد أولياء الرحمن ، بل يقول أولياء الشيطان لأنهم خرجوا إلى حزبه وصاروا من جملة أتباعه .

فيا عجباً لهؤلاء المغرورين ، فإنهم رفعوا أنفسهم عن طبقة الأنبياء وطبقة الملائكة ، فإن الأنبياء حالهم كما عرفنا من إدامة العبادة لله في كل حال ، والازدياد من القربات المقربة إلى الله حتى توفاهم الله تعالى .

وكذلك الملائكة فإنهم كما وردت بذلك الأدلة لا ينفكون عن العبادة لله وصارت أذكاره سبحانه من التسبيح والتهليل هي زادهم الذي يعيشون به وغذائهم الذي يتغذون به .

فحاشا لأولياء الله سبحانه أن يقع لأحقرهم في هذه المرتبة العظيمة أو أدناهم في هذا المنصب الجليل هذا الزعم الباطل ، والدعوى الشيطانية ، وإنما ذلك الشيطان سول لجماعة من أتباعه ومطيعيه واستزلهم ، وأخرجهم من حزب الله إلى حزبه ومن طاعة الله إلى طاعته ، ومن ولاية الله سبحانه إلى ولايته وقد رأينا في ترجمة

جماعة من أهل الله وأولياءه أنهم سمعوا خطاباً من فوقهم ، ورأوا صورة تكلمهم ، وتقول يا عبدي قد وصلت إلى وقد أسقطت عنك التكاليف الشرعية بأسرها ، فعند أن يسمع منهم السامع ذلك يقول : ما أظنك أيها المتكلم إلا شيطان ، فأعوذ بالله منك ، فعند ذلك تتلاشى تلك الصورة ولا يبقى لها أثر ، فقد بلغ كيد الشيطان إلى هذا الكيد العظيم ، ولكنه لم ينفق كيده هذا على أولياء الله سبحانه فردوه في نحره حتى إنه قد يتطاير عند ذلك التلاشي شرراً كما وقع لكثر منهم ... "[قطر الولي على حديث الولي][٣٤٩-٣٥٠] .

وقال - رحمه الله - : " فإذا كان مقام النبوة الذي هو أعلى مقام وأرفع رتبة ، وليس مقام الولاية بالنسبة إليه كمقام التابع من المبتدع والخادم من المخدوم ، فكيف يحتاج أن يقال إنه لا يتقطع من الطلب من الله عز وجل مع انتفاء العصمة عنه وثبوتها لمن لم تنقطع عن الطلب من الله سبحانه ..." . "[قطر الولي على حديث الولي][٣٤٧-٣٤٨] .

وقال أحسان إلهي ظهير – رحمه الله - : " ولم يقتصر القوم على مثل هذه السخافات والأباطيل ، بل زادوا في غلوائهم حيث فضلوا الولاية على النبوة والرسالة ، والأولياء على الأنبياء والمرسلين ، فقالوا : [خاض بحوراً وقفت الأنبياء بسواحلها] .

و[معاشر الأنبياء أوتيتم اللقب ، وأوتينا ما لم تؤتوه] .

ونقلوا عن البسطامي أنه قال : " تالله إن لوائي أعظم من لواء محمد ص ، لوائي من نور تحته الجان والجن والإنس ، كلهم من النبيين " .

وهذا ما خرج به بعضهم :

مَقَـــامُ النُّبُوَّةَ فـــي بَـرْزَخٍ فُوَيْقَ الرَّسُوَل وَدُونَ الوَلِي

لأن الولاية هي الفلك الأقصى ، من سبح فيه اطلع ، ومن اطلع علم ، ومن علـم تحول في صورة ما علم . فذلك الولي المجهول الذي لا يعـرف ، والنكـرة التـي لا تصرف ، لا يتقيد بصورة ، ولا تعرف له سريرة ، يلبس لكل لبوسها ، إما نعيمهـا وإما بؤسها .

يوماً يمان إذا لاقيت ذا يمـن وإن لاقيت معديا فعدنان

... ... إمعة لما في فلكه من السعـــة

[إن الولاية هي المحيطة العامة ، وهي الدائرة الكبري ، فمن حكمها أن يتولى الله من شاء من عباده بنبوة وهي من أحكام الولاية ، وقد يتولاه بالرسالة وهـي مـن أحكام الولاية أيضاً ، فكل رسول لابد أن يكون نبياً ، وكل نبـي لا بـد أن يكـون ولياً ، فكل رسول لابد أن يكون وليـاً ، فالرسـالة بخصـوص مقـام في الولايـة ، والرسالة في الملائكة دنيا وآخرة ، لأنهم سـفراء الحـق لبعضـهم ... والرسـالة في البشر لا تكون إلا في الـدنيا ، وينقطـع حكمهـا في الآخـرة ، وكـذلك تنقطـع في الآخرة بعد دخول الجنة والنار النبوة التشريع ، لا نبوة العامة .

[وأصل الرسالة في الأسماء الإلهية وحقيقة الرسـالة إبـلاغ كـلام مـن مـتكلم إلى سامع . فهي حال لا مقام ،ولا بقاء لها بعد انقضاء التبليغ ، وهي تتجدد] .

بخلاف الولاية فإنها لا تنقطع أبداً ، ولا تحدّ ، لا بزمان ولا بمكان ، ولهـا الإنبـاء

العام والله لم يتسمّ بنبي ولا رسول ، وتسمى بالولي ، واتصف بهذا الاسم ، فقال : الله ولي الذي آمنوا ، وقال : هو الولي الحميد ، وهذا الاسم باق جار على عباد الله دنيا وآخرة .

وإن الولي يعلم علمين : علم الشريعة ، وعلم الحقيقة ، أي الظاهر والباطن والتنزيل والتأويل والشريعة ، فإذا رأيت النبي يتكلم بكلام خارج عن التشريع ، فمن حيث هو ولي عارف ، ولهذا مقامه من حيث هو عارف أتم وأكمل من حيث هو رسول أو ذو تشريع وشرع .

ممن ادعى الختمية للولاية

وهناك كثر ممن ادعى أنه خاتم الأولياء من الصوفية :

١ - **ابن عربي الحاتمي :** فيقول مكنياً عن نفسه : " وأما ختم الولاية المحمدية فهي لرجل من العرب ، ومن أكرمها أصلاً ويداً ، وهو في زماننا موجود ، عرفت به سنة خمس وتسعين وخمسمائة ، ورأيت العلامة التي له قد أخفاها الحق فيه عباده ، وكشفها لي بمدينة فاس حتى رأيت خاتم الولاية منه ، لا يعلمها كثير من الناس ، وقد ابتلاه الله بأهل الإنكار عليه ... وكما أن الله ختم بمحمد ص بنبوة الشرائع كذلك ختم بالختم المحمدي الولاية ".

وقد يحسب القارئ لهذه الفقرة أن ابن عربي يقصد غير نفسه ، ولكننا عرفنا أنه أراد نفسه في هذه الإشارات ، لأدلة منها :

- أنه صرح في موضع أخرى بأنه خاتم نفك بذلك الرمز حيث أخبر أنه رأى سنة [٥٩٩هـ] حائطاً من ذهب وفضة إلا موضع لبنتين إحداهما

من ذهب والأخرى من فضة ، فانطبع في موضع تينك اللبنتين قال : " وعجزت الرؤيا بانختام الولاية بي ، وذكرتها للمشايخ والكاملين المعاصرين فعبروها بما عبرتها به " .

- ويقول : " بنا ختم الله الولاية فانتهت * إلينا فلا ختم يكون لها بعدي " .

- ويقول : " أنا ختم الولاية دون شك * لو رثي الهاشمي مع المسيح " .

- إن ابن عربي لو كان يقصد بهذا النص غيره لبادر الصوفية إلى البحث عنه وإشاعة أمره ، وتقديمه على كل أحد نظراً لمعتقدهم في هذا الختم ، لكننا وجدنا أن ابن عربي عند الصوفية يختل مكان الصدارة في خاتمة المقدسين حتى عند معاصريه . قال الشعراني : فلقد كان في زمنه صاحب الولاية العظمى والصديقية الكبرى .

٢- محمد بن محمد السكندري : [المعروف بمحمد وفي الشاذلي] .

حيث يذكر الشعراني أنه أخبر ولده أنه هو خاتم الأولياء ، بل كان ولده على يقول : " سيدي ووالدي صاحب الختم الأعظم ، فالشاذلي وجميع الأولياء من جنود مملكته ، فهو يحكم ولا يُحكم عليه في سائر الدوائر فلا يقال لنا : لم تقرأون حزب الشاذلي لأنكم من أتباعه "؟ .

٣- أحمد التجاني :

فيقول الشيخ عمر الفوتي – راداً على ابن عربي بعد أن نقل ما قاله في نسبة ختم

الولاية الصوفية إلى نفسه - : " وأنت خبير بأن محي الدين لم يعتمد بكونه ختماً على قاطع ، وإنما اعتمد على هذه الرؤيا ونحوها ... وإذا تأملت هذا علمت أن الختمية لم تثبت لأحد قبل شيخنا ، وأن أحداً ما ادعاها وثبت على ادعائها لنفسه ، وأما شيخنا وسيدنا ووسيلتنا إلى ربنا سيدي أحمد الشريف الحسني التجاني ... فقال : أخبرني سيد الوجود ص بأني أنا القطب المكتوم والبرزخ المختوم ... مشافهة يقظة لا مناماً " .

قال شيخ الإسلام – رحمه الله - : " وادعى جماعة كل واحد أنه هو ، كابن عربي ، وربما قيده بأنه خاتم الولاية المحمدية أو نحو ذلك لئلا يلزمه أن يخلف بعده لله ولي " .

٤ - **محمد بن عثمان الميرغني السوداني** :

حيث سمى نفسه بالختم ، وجعل هذا الاسم علماً على طريقته الصوفية فسماها [الختمية] .

٥ - **أحمد الرفاعي :**

حيث ذكر بعض أتباعه : " إن الله قد ختم بالرفاعي الولاية كما ختم بمحمد النبوة " .[تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي][٨٣-٩٢] بتصريف .

الصوفية والخروج على التعاليم الشرعية

إن للصوفية وسائل يتوصلون بها إلى إباحة الخروج عن الشريعة وطريقهم إلى هذا من شقين :

الشق الأول : الوسيلة : والوسيلة التي تذرع بها أصحاب الفكر الصوفي إلى إباحة إسقاط التكاليف عن بعضهم والخروج عن الأحكام الشرعية وهي :

تقسيم الدين إلى حقيقة وشرعية أو ظاهر وباطن :

فهم يدينون بأن القرآن الكريم والسنة النبوية ظاهراً – وهو التنزيل الذي جاء به محمد بن عبد الله ص وأعلنه وأظهره للعموم ، وباطناً – وهو التأويل الذي تكفل الأولياء المتصوفة ببيانه حسب نظرية العلم الوراثي ، أو العلم اللدني الذي طريقه الكشف الصوفي .

فأهل الشريعة عندهم هم أهل الظاهر ، ومقامهم لا يتجاوز التقليد بالأحكام المشروعة ، وأما أهل الحقيقة والباطن فالمجال مفتوح أمامهم للتصرف حسب ما تقتضي مقاماتهم ولو أدى ذلك إلى إلغاء الأحكام .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله - : " وقد شاع في كلام كثير من الناس علم الظاهر وعلم الباطن ، وأهل الظاهر وأهل الباطن ، ودخل في هذه العبارات بحق وباطن ... إلى أن قال : ومن لم يكن له علم بما يصلح باطنه ويفسده ولم يقصد صلاح قلبه بالإيمان ودفع النفاق كان منافقاً إن أظهر الإسلام فإن الإسلام بظهره المؤمن والمنافق وهو علانية لكن الإيمان في القلب " .

جماع الأمر

وقال – رحمه الله - : " ولكن جماع الأمر أن كل قول وعمل فلابد له من ظاهر وباطن ، فظاهر القول لفظ اللسان ، وباطنه ما يقوم من حقائقه ومعانيه بالجنان ، فظاهر العمل حركات الأبدان ، وباطنه ما يقوم بالقلب من حقائقه ومقاصد الإنسان .

فالمنافق لما أتى بظاهر الإسلام دون حقائق الإيمان لم ينفعه ذلك وكان من أهل الخسران ؛ بل كان في الدرك الأسفل من النار ".

وقال مؤكداً : " والمقصود هنا أن الظاهر لابد له من باطن يحققه ويصدقه ويوافقه ، فمن قام بظاهر الدين من غير تصديق بالباطن فهو منافق ومن ادعى باطناً يخالف ظاهراً فهو كافر منافق ، بل باطن الدين يحقق ظاهره ويصدقه ويوافقه ، وظاهره يوافق باطنه ويصدقه ويحققه ، فكما أن الإنسان لابد له من روح وبدن وهما متفقان فلابد لدين الإنسان من ظاهر وباطن يتفقان " .

هذا هو مفهوم [الشريعة] و [الحقيقة] أو [الظاهر] و [الباطن] عند السلف .

فهم الصوفية للحقيقة والباطن :

أما الصوفية فيتجهون في فهم [الحقيقة] و [الباطن] اتجاهاً آخر ، ومما يدل دلالة واضحة على أنهم لا يقصدون بالحقيقة مجرد الإخلاص ، أن إبراهيم الدسوقي يقول : " الشريعة أصل والحقيقة فرع ، فالشريعة جامعة لكل مشروع ، والحقيقة جامعة جامعة لكل علم خفي " .

ومعلوم أن الحقيقة بالمفهوم الذي بيناه أولا لا يصح أن يقال أنه فرع .

ومن نظر في عباراتهم يجد أن الحقيقة عندهم ليس لها ضابط محكم فأحياناً يجعلونها

فرعاً والشريعة أصلاً كما رأيت ، وتارة يجعلونها من العلوم الخاصة بالصوفية ، فيقول الشواني – مثلاً في ترجمة أحمد بن محمد بن سعدان – : " وهو من أعلم شيوخ وقته بعلوم هذه الطائفة ، وكان عالماً أيضاً بعلوم الشرع مقدماً فيها " .

فلو كان المراد بالحقيقة هنا إخلاص النية لم يستقم له جعلها خاصة بالطائفة الصوفية .

وأيضاً إذا نظرنا إلى بعض آثار علم الحقيقة الذي يتحدثون عنه علمنا أنهم يرمون إلى معنى آخر غير المعنى السلفي السابق .

فيقول : الدسوقي – مثلاً – : " أهل الشرعة يبطلون الصلاة باللحن الفاحش ، وأهل الحقيقة يبطلون الصلاة بالخلق الفاحش ، فإذا كان باطنه حقداً أو حسداً أو سوء ظن بأحد أو محبة للدنيا فصلاته باطلة " .

وهذا دليل على أن الحقيقة عندهم تكون بمثابة تشريع جديد وإلا فما الدليل على أن الحقد أو محبة الدنيا من مبطلات الصلاة ؟ وكيف يتطلعون على ما في قلوب الناس حتى يحكموا على صلاة الحاقد وسيء الظن بالبطلان ؟ إن هذا نفسه يؤدي إلى سوء الظن بالناس وهو أيضاً من المبطلات عندهم وأحياناً يطلقون [الحقيقة] على الأخذ عن رسول الله ص بلا واسطة فقد كتب الفوتي ثماني صفحات حول استفتاح قراءة الفاتحة في الصلاة بالبسملة وأورد الأدلة الفقهية على ذلك ثم قال : " فهو معتمدنا على قراءة البسملة أول الفاتحة في الصلاة من جهة علم الشريعة ، وأما معتمدنا على قراءتها أول الفاتحة في الصلاة من جهة الحقيقة فقد أمرني سيدي

محمد الغالي – يقصد محمد بن محمد الحسيني ، أحد مريدي التجاني – بقراءتها أول الفاتحة في الصلاة وغيرها وأذن لي في ذلك وفي إعطائها وهو عن سيدنا ... أحمد بن محمد التجاني ... وهو قد أمره بذلك وأذن له في سيد الوجود وعلم الشهود سيدنا ومولنا محمد ص .

والحقيقة بهذه المعنى لا تقل خطورة عما سبق فهي كفيله بهدم قواعد الدين الأساسية ، حيث أن كل أحد لا يتقي الله يكون بوسعه أن يقول : قال لي رسول الله ص كذا وكذا .

ويقول عن عبد الله المشري – كان صوفي تجاني – : " وقد ينكر بعض العلماء إمكان الأخذ عن الله بعد الأنبياء ، والحجة عليهم إن خالفوا الأولياء " .

وإذا عرضنا خطورة جعل [الحقيقة] أو [علم الباطن] هو الأخذ بالذوق أو الكشف أو عن الله أو عن الرسول بلا واسطة أمكننا بالتالي أن نعلم خطورة قولهم بوجوب طلب هذا العلم ، وهم يقولون بذلك فهذا الشيخ محمد المغربي الشاذلي يقول : " كفى بعلم القوم قول موسى عليه الصلاة والسلام للخضر عليه السلام : ﴿ **قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا** ﴾ ، وهذا أعظم دليل على وجوب طلب الحقيقة كما يجب طلب علم الشريعة " .

فهذا النص القرآني أعطاه الصوفية عناية فائقة وخرجوا به عن مدلوله بمراحل فينقله الشعراني في ترجمة المذكور ، ويورده التجاني في الجواهر وبالعبارات نفسها مستدلاً به على وجوب طلب الحقيقة . انظر [المصدر السابق] [٣٧٧- وما بعدها] بتصريف .

قال شيخ الإسلام – رحمه الله – كما في العبودية [٥١] بشرح الراجحي : " وهؤلاء قد يسمون ما أحدثوه من البدع : حقيقة ، كما يسمونه ما يشهدون من القدر :حقيقة ، وطريقة الحقيقة عندهم : هو السلوك الذي لا يتقيد صاحبه بأمر الشارع ونهيه ، ولكن بما يراه ويذوقه ، ويجده في قلبه مع ما فيه من غفلة عن الله جل وعلا . ونحو ذلك . اهـ

مجمل ما جاء في هذا الشق من نقاط :

١ – أن وسيلتهم إلى إباحة الخروج عن الشريعة هي تقسيم الدين إلى شريعة وحقيقة .

٢ – أن عبارة "الحقيقة" أو "الباطن" من العبارات المجملة التي تحتمل الحق والباطن ، فإن أريد بها إصلاح القلب وإخلاص النية وصدق التوجه إلى الله فهو حق ومطلوب شرعاً ، فمتى ما خلا تطبيق الأحكام الشرعية منها بقيت جسم بلا روح ، وصار القائم بهذا العمل منافقاً .

٣ – أن الصوفية يقصدون بالحقيقة معاني أخر غير الإخلاص ، ويدل على ذلك:

- أنهم جعلوا الحقيقة فرعاً والشريعة أصلاً ، ومعلوم أن الإخلاص هو الأصل والأساس .
- أنهم جعلوها من العلوم الخاصة بهم ، وهؤلاء لا يدعون أن الإخلاص خاص بهم لظهور بطلان هذه الدعوى .

- أنهم فسروا " الحقيقة " بالأخذ على النبي ص بلا واسطة .
- أنهم فسروها بالذوق أو بالعلم اللدني أو الكشف .

٤- أنهم استناداً على فكرة الحقيقة أسقطوا تكاليف وتدخلوا في التشريع ، فهناك مبطلات للصلاة غير ما عرفها علماء الشريعة من أدلة الكتاب والسنة . وهناك ما يسقط الصلاة ويقوم مقامها ، وهو كل ما يكون حاجزاً بين المرء وبين الفحشاء والمنكر ، وهذا جهل عظيم ؛ لأن ترك الصلاة من أنكر المنكرات.

٥- أن قولهم بالأخذ عن الله وعن النبي ص بلا واسطة وتسمية ذلك بالحقيقة يعد أساساً في هدم القواعد الشرعية .

٦- وعلى هذا يكون قولهم بوجوب طلب " الحقيقة " قولاً بوجوب الإعراض عن طلب العلم الشرعي .

٧- أن طريقهم في طلب " الحقيقة " هو ابتداع مجاهدات وخلوات لم يأمر به الشارع فيكونون بذلك قد توصلوا ببدعة بقية الوصول إلى بدعة أخرى أعظم وأشنع . والله المستعان . انظر [المصدر السابق][٣٨٣-٣٨٤] .

الشق الثاني : شبهتهم التي زعموها دليلاً لإباحة الخروج عن الشريعة

في الشق الأول من هذا المطلب ذكرنا وسيلتهم في إباحة هذا الخروج وهي تقسيم الدين إلى شريعة وحقيقة ، وفي هذا الشق نتناول ما تمسكوا به لدعم تلك الوسيلة وإباحة هذا الخروج ، ألا وهو قصة الخضر عليه السلام مع موسى عليه السلام .

وقصة الخضر مع موسى عليهما السلام قصة ثابتة وردت في القرآن والسنة الصحيحة ؛ لكن المتصوفة حرفوا معانيها وأهدافها ومراميها ، وجعلوها عموداً من أعمدة العقيدة الصوفية ، ومحوراً أساسياً من محاورها ، ودليلاً على أن هناك شريعة ظاهرة وحقيقة صوفية تخالف الظاهر ، وجعلوا إنكار علماء الشريعة على الصوفية أمراً غير مقبول ؛ لأن صاحب الشريعة ليس من حقه أن ينكر على صاحب الحقيقة ، ولذا لم يكن لموسى عليه السلام ، وهو صاحب شريعة ظاهرة ، أن ينكر على الخضر في خرقه السفينة ، وفي قتله الغلام ، وفي إقامته الجدار ؛ لأنه صاحب حقيقة باطنة ، فجاز له لأجل ذلك أن يخالف شريعة النبي ص .

فما من صوفي يريد تشريع ذكر من الأذكار أو صلاة من الصلوات إلا ويدعي أنه لقي الخضر ، وأنه هو الذي أعطاه إياه وما من أحد منهم يرتكب جريمة خلقية أو جنائية ، أو يهمل فريضة من فرائض الله إلا ويوجه منتقديه بأن صاحب الظاهر ليس من حقه أن ينتقد صاحب المقام الخضري ، فمتى ما اشتهر شخص منهم بمخالفة الأوامر والنواهي الشرعية قالوا عنه : كان خضري المقام ، أو كان يسير على سنن الخضر .

قال ابن القيم –رحمه الله - رداً على المتصوفة المستدلين بقصة الخضر مع موسى

على جواز خروج الأولياء عن الشريعة الإسلامية : " فمن ادعى أنه مع محمد ص كالخضر مع موسى أو جوز ذلك لأحد من الأمة فليجدد إسلامه ولتشهد بشهادة الحق فإنه بذلك مفارق لدين الإسلام بالكلية فضلاً عن أن يكون من خاصة أولياء الله وإنما هو من أولياء الشيطان وخلفائه وثوابه وهذا الموضع مقطع ومفرق بين زنادقة القوم وبين أهل الاستقامة منهم فحرك تراه " .[مدارج السالكين][٧٤٦] .

ففي ترجمة الشيخ على النبتيتي يقول الشعراني : " وكان يجتمع بالخضر عليه السلام وذلك أدل دليل على ولايته فإن الخضر لا يجتمع إلا بمن حقت له قدم الولاية .

ونص الشعراني : بأن الخضر عليه السلام لا يجتمع يقظة إلا بالكاملين " الميزان الخضرية " .

وقال : الخضر لا يجتمع إلا بمن حقت له قدم الولاية المحمدية . طبقات الشعراني [٢/ ١٢٤]

وقال نقل الشعراني عن علي بن حمدون الشاذلي : أن الخضر وإلياس لا يظهران معاً إلا لمن له روح كمال ، ذات جلال !!. [السابق][٣/ ٢٦] .

وقال أيضاً : ولا يجتمع الخضر عليه السلام بشخص إلا إن جمعت فيه ثلاث خصال ، فإن لم تجتمع فيه فلا يجتمع به قط ، ولو كان على عبادة الملائكة : الخصلة **الأولى** : أن يكون العبد على سننه في سائر أحواله .

والثانية : أن لا يكون له حرص على الدنيا .

والثالثة : أن المقصود باتباع سنن الخضر استباحته مخالفة الشريعة باسم الحقيقة والعلم اللدني .

وهذا صوفي آخر يحتج بقصة الخضر على ثبوت " الحقيقة الصوفية " فيقول : " ولقد اصطلح الصوفية على أن علوم الشرع الظاهرة هي " الشريعة " وأن ثمرتها الروحية وما يتبعها من فيض ومعارف باطنية هي " الحقيقة " وفي القرآن الكريم مثال واضح يقرر علمي الظاهر والباطن ..." ثم ساق قصة الخضر ـ مستدلاً بها على ذلك .

بنيت على ركيزتين

الأولى :

أن الخضر ولي وليس نبياً ؛ لأنه إذا اعترفوا بنبوته بطل كل ما كانوا يأفكون حول الاستدلال بقصته على إمكان الخروج عن الشريعة .

لأن معنى كونه نبياً أن يكون خرق السفينة وقتل الغلام وإقامة الجدار طبقاً لشريعته وإن خالفت شريعة موسى عليه السلام وهذا ما لا يريدونه .

الثانية :

أن الخضر ما زال حياً يرزق إلى يومنا هذا ، وهذا يفيدهم أمرين :

- يفتح الباب لقبول كل ما ينسب إليه من الدعاوى المتعلقة بمقابلته وأخذ الأحكام عنه .
- أن القول بموته يؤدي – في تصورهم – إلى تكذيب أئمة التصوف وحججه الذين طالما ثبتوا على أتباعهم ومريديهم تعليمات زعموا أنهم أخذوها من الخضر ، وفي ذلك هدم لبنيان التصوف من قواعده . انظر [السابق][٣٨٧-٣٨٨] بتصريف .

النتائج الخطيرة المترتبة على اعتقاد أن بعض الأشخاص

يباح لهم الخروج عن الشريعة

النتيجة الأولى :

التقليل من شأن الشريعة وانتقاص علمائها

إن أصحاب الفكر الصوفي لما قسموا الدين إلى شريعة نقلية وإلى حقيقة صوفية ، وجعلوا الشريعة للعوام وعلماء الرسوم- كما يحلو لهم أن يسموهم – وجعلوا الحقيقة للخواص من أولياء التصوف .

ترتب على ذلك أن استغنوا بالمصدر الكشفي عن دراسة العلوم الشرعية ، واعتبروه المصدر الأساسي للعلم الحقيقي ، وعدوا المجاهدة بالرياضات الصوفية الشاملة طريقاً إلى هذا الكشف ، وظنوا أن من لم يسلك طريقهم في الجوع والسهر وترداد الألفاظ الخاوية ، وتعذيب النفس بألوان العذاب يستحيل أن يكون عنده معرفة بالحقائق الصوفية التي يسمونها حقائق علمية ومن هنا أخذوا يقللون من شأن العلوم الشرعية ويغمزون العلماء ويحاولون بوسائل شتى صد المريدين عن طلب العلم الشرعي .

النتيجة الثانية :

الجهل بالشريعة والتحذير من تعلمها

إن تقسيم الدين في الفكر الصوفي إلى شريعة وحقيقة ، وجعل الحقيقة هي العلم المضبوط المطلع على خفايا الأمور وبواطنها ، ثم اختراع المجاهدات الصوفية وخلواتها لتكون هي الطريق إلى المعرفة ، وكل أولئك أدى بقادة هذا الفكر إلى

الإعراض عن بذل أي جهد في تعلم العلوم الشرعية فجهلوها ، ووضعوا أسساً لمحاربتها وتحذير المريدين من الاشتغال بكتبتها وحضور مجالسها .

النتيجة الثالثة :

معاداة طلبة العلم الشرعي

إن مواقف أهل التصوف في معاداة علماء الشريعة وطلابها أشهر من أن تذكر وأكثر من أن تحصر ، وهي مواقف طبيعية ؛ لأن من عادى شيئاً كرهه وكره كل ما له صلة به ، فلما تركوا التعلم وحذروا من التفقه في الشريعة – باعتبار الفقه في الدين وسيلة لكشف كل زيف – أبغضوا طلاب الشريعة وناصبوهم العداء .

ومن نظر في كتب التصوف التي تعني بجميع أقوال الشيوخ ، وجد الشيء الكثير من ألوان العداوة ضد أهل السنة والمشتغلين بالحديث منهم خاصة ، بل وحتى الانتماء إلى المذاهب الفقهية لم يكن أقل إثارة لحفيظتهم .

ينقل عن الشعراني عن نصر بن أحمد الدقاق قوله : آفة المريد ثلاثة أشياء : التزويج ، وكتابة الحديث ، ومعاشرة الضد .

ومقصودهم بالضد علماء الشريعة وطلابها .

النتيجة الرابعة :

تفشي الانحلال الخلقي نتيجة لفساد العقيدة

إن الإنسان الذي يستهين بقضية العقيدة ، ويهمل الأحكام الشرعية الطهارة والصلاة والزكاة والحج ، ويحذر أصحابه من التعليم الشرعي ، هذا الإنسان لا يتوقع من أمثاله أن يتخلق بأخلاق الإسلام ولا أن يسلك سلوك أهله ، ولذ لن نفاجأ إذا وجدنا أن المجتمع كلما كان أفراده غارقين في التصوف كان مجتمعاً مخلاً ،

وليس هناك من دليل أكبر من تحلل أولياء التصوف – وهم الصفوة والطبقة العليا عندهم – من المسئوليات الدينية . انظر [تقديس الأشخاص][١/ ٤٣١-٤٥٦] بتصريف .

ردٌ لشيخ الإسلام

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – كما في [مجموع الفتاوى][١١/ ٥٣٩] : وأما من جعل كمال التحقيق الخروج من التكليف .فهذا مذهب الملاحدة من القرامطة والباطنية ، ومن شابههم من الملاحدة المنتسبين إلى علم أو زهد أو تصوف أو تزهد .

يقول أحدهم : إن العبد يعمل حتى يحصل على المعرفة ، فإذا حصلت زال عنه التكليف ، ومن قال : هذا فإنه كافر مرتد باتفاق أئمة الإسلام فإنهم متفقون على أن الأمر والنهي جار على كل بالغ عاقل إلى أن يموت قال تعالى : ﴿ **وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ** ﴾ ...اهـ

وقال أيضاً : فمن اعتقد أن لأحد من الأولياء طريقاً إلى الله من غير متابعة محمد ص ، فهو كافر ، من أولياء الشيطان . الفتاوى [١١/ ١٧٠] .

وقال – رحمه الله - : وهؤلاء جميعهم الذين ينتسبون إلى المكاشفات . وخوارق العادات إذا لم يكونوا متبعين للرسل فلابد أن يكذبوا ، وتكذيبهم شياطينهم .

ولابد أن يكون في أعمالهم ما هو إثم وفجور مثل نوع من الشرك أو الظلم أو الفواحش أو الغلو أو البدع في العبادة ؛ ولهذا تنزلت عليهم الشياطين واقترنت

بهم فصاروا من أولياء الشيطان لا من أولياء الرحمن ، قال تعالى : ﴿ **وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ** ﴾ ، وذكر الرحمن هو الذكر الذي بعث به رسوله ص مثل القرآن فمن لم يؤمن بالقرآن ويصدق خبره ويعتقد وجوب أمره فقد أعرض عنه فيقيض له الشيطان فيقترن به . مجموع الفتاوى [١١/ ١٧٢-١٧٣] .

وقال في موضع آخر : " والإيمان بالرسل هو الأصل الثاني من أصلي الإسلام ، فمن لم يؤمن بأن هذا رسول الله ص إلى جميع العالمين وأنه يجب على جميع الخلق متابعته ، وأن الحلال ما أحله والحرام ما حرمه ، والدين ما شرعه فيكون كافراً مثل هؤلاء المنافقين ، ونحوهم ممن يجوز الخروج على دينه وشريعته ، وطاعته ، إما عموماً أو خصوصاً ، ويعتقدون مع هذا أنهم أولياء لله ، وأن الخروج من الشريعة المحمدية سائغ لهم ، وكل هذا ضلال وباطل ، وإن كان لأصحابه زهد وعبادة " مجموع الرسائل والمسائل [٤٤] .

وجه احتجاجهم بقصة موسى والخضر

وأما احتجاجهم بقصة موسى والخضر فيحتجون بها على وجهين :

أحدهما : أن يقولوا : إن الخضر كان مشاهداً الإرادة الربانية الشاملة والمشيئة الإلهية العامة ، وهي [الحقيقة الكونية] . فلذلك سقط عنه الملام فيما خالف فيه الأمر والنهي الشرعي ، وهو من عظيم الجهل والضلال ، بل من عظيم النفاق والكفر ، فإن مضمون هذا الكلام : أن من آمن بالقدر وشهد أن الله رب كل شيء ، لم يكن عليه أمر ولا نهي ، وهذا كفر بجميع كتب الله ورسله ، وما جاءوا به من

الأمر والنهي ، وهو من جنس قول المشركين الذين قالوا : ﴿ **لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ** ﴾ ، قال الله تعالى : ﴿ **كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ** ﴾ .

ونظير هذا في سورة النحل ، وفي سورة يس ، [وإذا قيل لهم : أنفقوا مما رزقكم الله . قال : الذين كفروا للذين آمنوا أنطعم من لو يشاء الله أطعمه ؟ إن أنتم إلا في ضلال مبين] ، وكذلك في سورة الزخرف : [وقالوا : لو شاء الرحمن ما عبدناهم ما لهم بذلك من علم إن هم إلا يخرصون] .

وأيضاً فإن موسى عليه السلام كان مؤمناً بالقدر وعالماً به ؛ بل اتباعه من بني إسرائيل كانوا أيضاً مؤمنين بالقدر ، فهل يظن من له أدنى عقل أن موسى طلب أن يتعلم من الخضر الإيمان بالقدر ، وأن ذلك يدفع الملام مع أن موسى أعلم بالقدر من الخضر ، بل عموم أصحاب موسى يعلمون ذلك ، و [أيضاً] فلو كان هذا هو السر في قصة الخضر بيّن ذلك لموسى .وقال : إني كنت شاهداً للإرادة والقدر . وليس الأمر كذلك .

قال الإمام القرطبي – رحمه الله – في [تفسيره][١١/ ٤٠-٤١] : قال شيخنا الإمام أبو العباس : ذهب قوم من زنادقة الباطنية إلى سلوك طريق لا تلزم منه هذه الأحكام الشرعية ، فقالوا : هذه الأحكام الشرعية العامة إنما يحكم بها على الأنبياء والعامة وأما الأولياء وأهل الخصوص فلا يحتاجون إلى تلك النصوص ،

بل إنما يراد فهم ما يقع في قلوبهم ويحكم عليهم بما يغلب على خواطرهم .

وقالوا ذلك لصفاء قلوبهم عن الأكدار وخلوها عن الأعيار فتتجلى لهم العلوم الإلهية ، والحقائق الربانية ، فيقفون عن أسرار الكائنات ، يعلمون أحكام الجزئيات فيستغنون بها عن أحكام الشرائع الكليات ، كما اتفق للخضر فإنه استغنى بما تجلى له من العلوم عما كان عند موسى من تلك الفهوم ، وقد جاء فيما ينقلون استفتي قلبك وإن أفتاك المفتون .

قال : وهذا القول زندقة وكفر يقتل قائله ولا يستتاب ، لأن إنكار من علم من الشرائع ، فإن الله تعالى قد أجرى سنته وأنفذ حكمته ، بأن أحكامه لا تعلم إلا بواسطة رسله السفراء بينه وبين خلقه وهم المبلغون عن رسالته وكلامه ، المبينون شرائعه وأحكامه أختارهم لذلك وخصهم بها هنالك كما قال تعالى : ﴿**اللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ**﴾ ، وقال تعالى : ﴿**كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ**﴾ ، إلى غير ذلك من الآيات وعلى الجملة فقد حصل العلم القطعي واليقين الضروري ، واجتماع السلف والخلف على أن لا طريق لمعرفة أحكام الله تعالى التي راجعة إلى أمره ونهيه ولا يعرف شيء منها إلا من جهة الرسل فمن قال إن هناك طريقاً آخر يعرف بها أمره ونهيه غير الرسل حيث يستغنى عن الرسل فهو كافر يقتل ولا يستتاب ولا يحتاج معه إلى سؤال وجواب ، ثم هو قول بإثبات أنبياء بعد نبينا ص الذي قد جعله الله خاتم أنبيائه ورسله فلا نبي بعده ولا رسول ، وبيان ذلك أن من قال يأخذ عن قلبه وأن ما يقع فيه حكم الله تعالى وأنه يعمل بمقتضاه وأنه لا يحتاج مع ذلك إلى كتاب ولا سنة فقد

أثبت لنفسه خاصة النبوة فإن هذا كفر ما قاله ، ما قاله ص : " إن روح القدس نفث في روعي " .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – كما في [مجموع الفتاوى][٢٤/ ٣٣٩] : " ومثل احتجاج بعضهم بقصة الخضر وموسى عليه السلام على أن من الأولياء من يستغني عن محمد ص كما استغنى الخضر- ومثل قول بعضهم أن خاتم الأولياء له طريق إلى الله يستغني به عن خاتم الأنبياء وأمثال هذه الأمور التي كثرت في كثير من المنتسبين إلى الزهد والفقر والتصوف والكلام والتفلسف وكفر هؤلاء قد يكون من جنس كفر اليهود والنصارى ، وقد يكون أعظم وقد يكون أخف بحسب أحوالهم .

فصل في القائلين بأن الخضر عليه السلام ولي وليس بنبي وحججهم في ذلك

القائلين بأن الخضر ولي وليس بني :

قال الحافظ ابن حجر – رحمه الله – كما في [الإصابة][٢/ ٢٤٨] : ذهب إلى أنه كان ولياً جماعة من الصوفية ، وقال به أبو علي بن أبي موسى من الحنابلة وأبو بكر الإنباري ... وقال أبو القاسم القشيري في رسالته : لم يكن الخضر نبياً وإنما كان ولياً .وقال به اليافعي في كتابه [نشر المحاسن الغالية] .

ويبدو أن الصوفية الحاملين لواء نشر الفكر الصوفي متفقون على أنه ولي وليس بنبي يقو التجاني : وأعلم أن الخضر عليه السلام ولي فقط ، وليس بنبي عند الجمهور ، قال الشيخ الأكبر – يعني ابن عربي – : الخلاف فيه عند أهل الظاهر – يعني أهل الشريعة الظاهرة – لا عندنا ، فإنه عندنا مقطوع به من الأولياء لا من النبيين . جواهر المعاني [١/ ٢٤٦] .

وقال الدباغ : ... ليس بنبي وإنما هو عبد أكرمه الله بمعرفته . الإبريز [٣٠٧] .

وقال اليافعي : ... وهو ولي لا نبي على القول الصحيح عند أهل العلم . روض الرياضيين [٤٧٨] .

ذكر أدلتهم على هذا القول :

إن ما تمسك به الصوفية لنفي نبوة الخضر عليه السلام كله شبهات لا أظن أن ما

أوردها مقتنع بها فضلاً أن يقنع بها غيره ، ولذلك يجد أن أكثرهم لم يبحث للمسألة عن أدلة شرعية بل اكتفى بالذوق أو الكشف أو المنامات ، ولم نجد منها غير التجاني وقد ذكر دليلين ثم ثالث بمنام لإبراهيم التيمي :

الدليل الأول : قول موسى عليه الصلاة والسلام له في خرق السفينة : ﴿ **جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا** ﴾ [الكهف:٧٤] ، لو كان نبي ما أنكر عليه موسى فعله ؛ لأن موسى عليه السلام يعلم عصمة النبوة وأن صاحبها لا يتقدم إلى فعل شيء إلا بأمر الله ... وحيث أنكر عليه فدل ذلك على أنه ليس بني .

الدليل الثاني : قوله : وأيضاً في الاستدلال على عدم نبوته – وهذا أكبر من الأول – إذ لو كان الخضر نبياً لأعلم الله موسى بنبوته لأجل أن لا ينكر عليه ؛ لأن الإنكار على صاحب النبوة تضليل له والمضلل للنبي كافر .

الدليل الثالث : رؤية لإبراهيم التيمي – رحمه الله – فإنه تلقى كلمات من الخضر وكان الخضر سمعها من جبريل حين لقنها للنبي ص ، فسأل إبراهيم في نومه النبي ص عما ذكر الخضر فقال له : صدق الخضر ؛ إلى أن قال له : هو سيد الأولياء . قال التجاني : وهذا أدل دليل على عدم نبوته . انظر [جواهر المعاني ١/ ٢٤٦] .

وهذه الاستدلالات لا تنهض لتجعل الخضر مجرد خال من النبوة لما يأتي :

١ – لقوة الأدلة القاضية بكونه نبياً لا مجرد ولي .

٢- أن الدليل الأول والثاني لا يتم الاستدلال بهما على نفي نبوة الخضر- إلا بعد إثبات أنه يلزم لزوماً أن النبي لابد أن يكون عالماً بجميع أنبياء الله تعالى .وهذا أمر لم تؤيده الأدلة .

الأول : فلأن محمد ص سيد البشر لم يتوفر له العلم بسائر الأنبياء فكيف بغيره؟ قال تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ** ﴾ .

الثاني : فلأن موسى عليه الصلاة والسلام لم يكن يعرف الخضر- ، لذلك لما قام موسى خطيباً في بني إسرائيل فسئل : أي الناس أعلم ؟ قال : أنا . فعتب الله عليه ، إذ لم يرد العلم إليه فقال له : " بلى لي عبد بمجمع البحرين هو أعلم منك " . ولذلك أيضاً لما أتى موسى إلى الصخرة ووجد الخضر- فسلم عليه فرد عليه الخضر ثم قال له : أنّى بأرض السلام ، قال : أنا موسى . قال : موسى بني إسرائيل ؟ قال : نعم . متفق عليه . [تقديس الأشخاص][١/ ٣٩٠] .

ومن تأمل هذا ظهر له :

- أن موسى لم يكن يعرف الخضر .

- أنه لم يكن مبعوثاً إليه ؛ لأنه كان نبياً إلى بني إسرائيل فقط .
- أن الخضر كان قد بلغه اسم موسى وخبره ولم يكن يكن يعرف عينه .ولا شك أنه لو كان واحداً من أفراد أمة موسى لوجب عليه أن يبحث عنه ويتبع دينه قبل هذه الحادثة وبعدها .

الثالث :

أما المنامات فهي تجارة غير نافقة في سوق المناقشات العلمية .

قال الإمام الشاطبي – رحمه الله - : إن الشريعة حاكمة لا محكوم عليها ، فلو كان ما يقع من الخوارق والأمور الغيبية حاكماً عليها بتخصيص عموم ، أو تقييد إطلاق ، أو تأويل ظاهر ، أو ما أشبه ذلك ، لكان غيرها حاكماً عليها وصارت هي محكوماً عليها بغيرها ، وذلك باطل باتفاق .

ثم هل الخضر عندهم من مسترقي السمع حتى تلقف كلمات من جبريل حين يلقنها النبي ص ؟ . المصدر السابق [٣٨٩-٣٩١] بتصريف

فصل في ذكر القائلين بنبوة الخضر عليه الصلاة والسلام وحججهم

الإمام القرطبي :

قال – رحمه الله – في [تفسيره] : والخضر نبي عند الجمهور والآية تشهد بنبوته لأن بواطن أفعاله لا تكون إلا بوحي ، وأيضاً فإن الإنسان لا يتعلم ولا يتبع إلا من فوقه وليس يجوز أن يكون فوق النبي من ليس بنبي .انتهى

الإمام أبو حيان :

قال أبو حيان – رحمه الله – كما في [البحر المحيط] : " والجمهور على أن الخضر نبي وكان عنده معرفة بواطن أوحيت إليه . انتهى

الحافظ ابن حجر :

قال الحافظ ابن حجر – رحمه الله – كما في [الإصابة][٢/ ٢٤٨] : فإن قيل إنه نبي فلا إنكار في ذلك وأيضاً كيف يكون غير النبي أعلم من النبي ؟ وقد أخبر النبي ص في الحديث الصحيح أن الله قال لموسى : بلى ، عبدنا خضر .

وأيضاً فكيف يكون النبي تابعاً لغير النبي ؟ . انتهى

وقال- رحمه الله - : غالب أخباره مع موسى هي الدالة على تصحيح قول من قال أنه كان نبياً . السابق [٢/ ١٦] .

وقال – رحمه الله - : والذي لا يتوقف فيه : الجزم بنبوته . [الزهر النضر][١٦٢].

الإمام الثعلبي :

نقل الحافظ ابن حجر – رحمه الله – عن الثعلبي قوله : هو نبي في سائر الأقوال . السابق

البدر العيني :

قال البدر العيني – رحمه الله – كما في [عمدة القاري][١٣/ ٣٧-٣٨] : والكلام فيه على أنواع ... النوع الثالث في نبوته ، فالجمهور على أنه نبي وهو الصحيح . اهـ

العلامة الألوسي :

قال العلامة الألوسي – رحمه الله – كما في تفسيره [روح المعاني] : فالجمهور على أنه عليه السلام نبي وليس برسول ... والمشهور ما عليه الجمهور ، وشواهده من الآيات والأخبار كثيرة وبمجموعها يكاد يحصل اليقين . انتهى

الإمام الفخر الرازي :

قال الفخر الرازي – رحمه الله – كما في [تفسيره] : والأكثرون أن ذلك العبد كان نبياً .

الإمام ابن كثير :

قال – رحمه الله – كما في [البداية والنهاية][١/ ٣٢٨] : وقد دل سياق القصة – أي قصة موسى مع الخضر عليهما السلام – على نبوته .اهـ

وقال – رحمه الله - : وقصارى الخضر أن يكون نبياً وهو الحق .

النيسابوري :

قال – رحمه الله – في [تفسيره] : الأكثرون على أن ذاك العبد كان نبياً .

الإمام الشاطبي :

وممن ذهب إلى القول بنبوته الإمام الشاطبي – رحمه الله- كما في كتاب [الموافقات][٢/ ١٩٦] فقال – رحمه الله – : « وأما قصة الخضر عليه السلام وقوله : ﴿ **وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي** ﴾ فيظهر به أنه نبي ، وذهب إليه جماعة من العلماء استدلالاً بهذا القول ،ويجوز للنبي أن يحكم بمقتضى الوحي من غير إشكال ، وإن سلم ، فهي قضية عين ولأمر ما ، وليس جارية على شرعنا ، والدليل على ذلك أنه لا يجوز في هذه الملة لولي ولا لغيره ممن ليس بنبي أن يقتل صبياً لم يبلغ الحلم ، وإن علم أنه طبع كافراً ، وأنه لا يؤمن أبداً ، وأنه إن عاش أرهق أبويه طغياناً وكفراً ، وإن أذن له من عالم الغيب في ذلك ، لأن الشريعة قد قررت الأمر والنهي ، وإنما الظاهر في تلك القصة أنها وقعت على مقتضى شريعة أخرى وعلى مقتضى كتاب موسى عليه السلام وإعلامه أن ثم علماً آخر وقضايا أخرى لا يعلمها هو » . اهـ .

ابن عطية :

قال – رحمه الله – كما في [المحرر الوجيز] : " والخضر نبي عند الجمهور وقيل هو

عبد صالح غير نبي والآية تشهد بنبوته لأن بواطن أفعاله هل كانت إلا بوحي الله " .اهـ

البقاعي :

قال – رحمه الله – كما في [تفسيره] : وكونه نبياً قول الجمهور .

ابن حجر الهيتمي المكي:

وممن ذهب إلى القول بنبوته ابن حجر المكي – رحمه الله – كما في كتابه [الفتاوى الحديثية][١٢٨] .

ابن الجوزي :

وممن قال بنبوته ابن الجوزي – رحمه الله- كما نقل عنه الحافظ ابن حجر في [الزهر النضر][٦٨] .

ابن عاشور :

وممن أختار القول بنبوته ابن عاشور كما في تفسيره [التنوير والتحرير][٢٤/ ١١٩] .

العلامة الشنقيطي :

كما في تفسيره ، وقد سرد كثير من الأدلة سيأتي ذكرها – إن شاء الله – ضمن الرسالة .

العلامة يحيى بن علي الحجوري :

وممن ذهب إلى القول بنبوته شيخنا العلامة يحي بن علي الحجوري – حفظه الله – كما في كتابه [الحقائق الوفية ببيان بعض موبقات الصوفية][٥١] .

ذكر أدلة القائلين

بنبوة الخضر عليه الصلاة والسلام

جاء كثير من الأدلة تثبت نبوة الخضر عليه الصلاة والسلام ، لا تستطيع أدلة القائلين بعدم نبوته أن تقوم أمامها فضلاً أن تنازعها في هذه المسألة وسنطرحها ثم نتبعها بأقوال أهل العلم والتفسير عليها :

الدليل الأول

قول الله تعالى : ﴿آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا﴾[الكهف:٦٥]

قال الفخر الرازي – رحمه الله – كما في تفسيره عند هذه الآية : والرحمة هي النبوة بدليل قوله تعالى : ﴿ **أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ** ﴾ [الزخرف : ٣٢] وقوله : ﴿**وَمَا كُنتَ تَرْجُو أَن يلقى إِلَيْكَ الكتاب إِلاَّ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ** ﴾ [القصص : ٨٦] والمراد من هذه الرحمة النبوة .

وقال الإمام الشنقيطي – رحمه الله – عند الآية كما في تفسيره [أضواء البيان] :

اعلم أن الرحمة تكرر أطلقها على النبوة في القرآن وكذلك العلم المؤتى من الله تكرر فيه على علم الوحي .

فمن أطلق الرحمة على النبوة قوله تعالى في [الزخرف] : ﴿ **وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْءانُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ * أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ** ﴾ أي نبوته حتى يتحكموا في إنزال القرآن على رجلاً عظيم من القريتين ، وقوله تعالى في سورة [الدخان] : ﴿ **فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ * أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ * رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ** ﴾، وقوله تعالى في آخر [القصص] : ﴿ **وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ** ﴾ .

ومن إطلاق إيتاء العلم على النبوة قوله تعالى : ﴿**وَأَنْزَلَ اللهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا**﴾ وقوله﴿ **وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ** ﴾ الآية إلى غير ذلك من الآيات .

وقال الإمام الألوسي – رحمه الله – عند الآية كما في تفسيره [روح المعاني] : ﴿

﴿ آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا ﴾ الجمهور على أنها الوحي والنبوة وقد أطلقت على ذلك في مواضع من القرآن وأخرج ذلك ابن أبي حاتم عن ابن عباس ، فالجمهور على أنه نبي .

وقال الإمام القرطبي – رحمه الله – عند الآية كما في تفسيره [الجامع لأحكام القرآن] : الرحمة في هذه الآية النبوة .

وقال الإمام الشوكاني – رحمه الله - عند الآية كما في تفسيره [فتح القدير] : وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله : ﴿ آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا ﴾ قال : أعطيناه الهدي والنبوة .

وقال الواحدي – رحمه الله – كما في تفسيره [الوسيط]: ﴿ آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا ﴾ : يعني النبوة .

وقال النيسابوري – رحمه الله – كما في تفسيره عند الآية : ﴿ آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا ﴾ : والرحمة هي الوحي والنبوة بدليل قوله : ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ ﴾ **وقوله** : ﴿ وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ ﴾ ومع أن كل رحمة نبوة قالوا : وصفه بقوله : ﴿ وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ﴾ والعلم المختص به تعالى هو الوحي والإخبار بالغيوب .

وقال الحافظ ابن كثير – رحمه الله – كما في تفسيره عند الآية : وقد دل سياق القصة على نبوته من وجوه إحداها : قوله تعالى : ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾ .

وقال أبو حيان – رحمه الله – كما في تفسيره [البحر المحيط] : ﴿ **آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا** ﴾ : والرحمة التي آتاه الله إياها هي الوحي والنبوة .

وقال البيضاوي – رحمه الله – في تفسيره عند الآية : ﴿ **آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا** ﴾ : هي الوحي والنبوة .

وقال البقاعي – رحمه الله – في تفسيره عند الآية : ﴿ **آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا** ﴾ : ﴿ **رَحْمَةً** ﴾ : أي : وحياً ونبوة .

وقال السمرقندي – رحمه الله – كما في [بحر العلوم]: ﴿ **آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا** ﴾ : أي أعطيناه النبوة .

وقال أبو السعود في [تفسيره] عند الآية : ﴿ **آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا** ﴾ : هي لوحي والنبوة كما يشعر به تنكير الرحمة واختصاصها بجناب الكبرياء .

الدليل الثاني

قول الله تعالى ﴿ وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ﴾: [الكهف:٦٥]

قال الإمام الرازي – رحمه الله – كما في [تفسيره] : **﴿ وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ﴾** وهذا يقتضي أنه تعالى علمه بلا واسطة تعليم معلم ولا إرشاد مرشد وكل من علمه الله لا بواسطة البشر وجب أن يكون نبياً يعلم الأمور بالوحي من الله .اهـ

وقال الألوسي – رحمه الله – في [تفسيره][روح المعاني] : **﴿ وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ﴾** وذك أنه يفهم من فحوى ﴿ مّن لَّدُنَّا ﴾ أو من تقديمه على ﴿عِلْمًا ﴾اختصاص ذلك بالله تعالى كأنه قيل علماً يختص بنا ولا يعلم إلا بتوقيفنا ، وفي اختيار ﴿ علمناه ﴾ على آتيناه من الإشارة إلى تعظيم أمر هذا العلم ما فيه ، وهذا التعليم يحتمل أن يكون بواسطة الوحي المسموع بلسان الملك وهو القسم الأول من أقسام الوحي الظاهري كما وقع لنبنا صلى الله عليه وسلم في أخباره عن الغيب الذي أوحاه الله تعالى إليه في القرآن الكريم ، وأن يكون بواسطة الوحي الحاصل بإشارة الملك من غير بيان بالكلام وهو القسم الثاني من ذلك ويسمى بالنفث كما في حديث إن روح القدس نفث في روعي أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله تعالى وأجملوا في الطلب والإلهام على ما يشير إليه بعض عبارات القوم من هذا النوع ، ويثبتون له ملكاً يسمونه ملك الإلهام ، ويكون للأنباء عليهم السلام ولغيرهم بالإجماع ، ولهم في الوقوف على المغيبات طرق تتشعب من تزكية الباطن .

وقال البقاعي – رحمه الله - : في تفسيره [**نظم الدرر**] : ﴿ **وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا** ﴾ أي من الأمور المستنبطة المستغربة التي عندنا مما لم يحدث عن الأسباب المعتادات ، فهو مستغرب عند أهل الاصطفاء ، ﴿ **عِلْمًا** ﴾ قذفناه في قلبه بغير واسطة . اهـ

وقال القرطبي – رحمه الله – كما في تفسيره [**الجامع لأحكام القرآن**] : ﴿ **وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا** ﴾ أي علم الغيب .

وقال ابن عطية – رحمه الله – في تفسيره [المحرر الوجيز] : ﴿ **وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا** ﴾ كان علم الخضر معرفة بواطن قد أوحيت إليه لا تعطي ظواهر الأحكام أفعاله بحسبها ، وكان علم موسى عليه السلام علم الأحكام والفتيا بظاهر أقوال الناس وأفعالهم.

وقال الإمام الشنقيطي – رحمه الله – في تفسيره [**أضواء البيان**] : ﴿ **وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا** ﴾ يفهم من بعض الآيات أن هذه الرحمة المذكورة هنا رحمة نبوة . وأن هذا العلم اللدني علم وحي .

الدليل الثالث

قول الله تعالى ﴿ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ﴾: [الكهف:٨٢]

قال العلامة الشنقيطي – رحمه الله – كما في تفسيره [أضواء البيان]: ومن أظهر الأدلة في أن الرحمة والعلم اللدني اللذين امتن الله بهما على عبده الخضر عن طريق النبوة والوحي قوله تعالى عنه : ﴿ **وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي** ﴾: [**الكهف:٨٢**] أي : وإنما فعلته عن أمر الله جل وعلا .

وأمر الله إنما يتحقق عم طريق الوحي ، إذ لا طريق تعرف لها أوامر الله ونواهيه إلا الوحي من الله جل و علا . ولا سيما قتل الأنفس البريئة في ظاهر الأمر ، وتعييب سفن الناس بخرقها ؛ لأن العدوان على أنفس الناس وأموالهم لا يصح إلا عن طريق الوحي من الله تعالى .

وقال الإمام الطبري – رحمه الله- كما في [تفسيره] : ﴿ **وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي** ﴾ يقول: وما فعلت يا موسى جميع الذي رأيتني فعلته عن رأيي، ومن تلقاء نفسي، وإنما فعلته عن أمر الله إياي به .اهـ

وقال الإمام النيسابوري – رحمه الله – كما في [تفسيره] : ﴿ **وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي** ﴾: أي عرفته وفعلته بأمر الله وذلك مستلزم للوحي .

وقال الحافظ ابن كثير – رحمه الله – كما في [تفسيره] : ﴿ **وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي** ﴾ : لكني أمرت به ووقفت عليه، وفيه دلالة لمن قال بنبوة الخضر، عليه السلام، مع ما

تقدم من قوله: ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ﴾ .اهـ

وقال الألوسي – رحمه الله – كما في تفسيره [روح المعاني] : ﴿ **وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي** ﴾ واستدل بقوله : ﴿ **وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِى** ﴾ القائلون بنبوته عليه السلام وهو ظاهر في ذلك واحتمال أن يكون هناك نبي أمره بذلك عن وحي كما زعمه القائلون بولايته احتمال بعيد .

وقال الإمام الفخر الرازي – رحمه الله – كما في تفسيره [**مفاتيح الغيب**] : ﴿ **وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي** ﴾ يعني ما فعلت ما رأيت من هذه الأحوال عن أمري واجتهادي ورأيي ؛ وإنما فعلته بأمر الله ووحيه؛ لأن الإقدام على تنقيص أموال الناس وإراقة دمائهم لا يجوز إلا بالوحي والنص القاطع .

وقال الإمام القرطبي – رحمه الله – كما في تفسيره [الجامع لأحكام القرآن] : ﴿ **وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي** ﴾ يدل على نبوته وأنه يوحى إليه بالتكليف والأحكام كما أوحي للأنبياء عليهم الصلاة والسلام .اهـ

وقال الحافظ ابن حجر – رحمه الله – كما في [الزهر النضر][٦٦] : في وجه الاستدلال من الآية على نبوة الخضر : وهذا ظاهر أنه بأمر الله ، والأصل عدم الواسطة ، ويحتمل أن يكون بواسطة نبي آخر لم يذكره ، وهو بعيد .

ولا سبيل إلى القول بأنه إلهام ؛ لأن ذلك لا يكون من غير نبي وحياً ، حتى يعمل به ما عمل ، من قتل النفس ، وتعريض الأنفس للغرق ، فإن قلنا : إنه نبي فلا إنكار في ذلك . اهـ

وقال أيضاً – رحمه الله – مستدلاً بهذا أيضاً فقال كما في [الفتح][١/ ٢٦٥] : وينبغي اعتقاد كونه نبياً لئلا يتذرع بذلك أهل الباطل في دعواهم أن الولي أفضل من النبي حاشا وكلا .اهـ

وقال أبو حيان – رحمه الله – كما في تفسيره [البحر المحيط] : ﴿ **وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي** ﴾ وهذا يدل على أنه نبي أوحي إليه .اهـ

وقال ابن جزي – رحمه الله – كما في [تفسيره] : ﴿ **وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي** ﴾ هذا دليل على نبوة الخضر ، لأن المعنى أنه فعل بأمر الله أو الوحي . اهـ

وقال الثعلبي – رحمه الله – كما في [تفسيره] : وقول الخضر : ﴿ **وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي** ﴾ يقتضي أنه نبي .

وقال محمد الشربيني الخطيب كما في تفسيره [السراج المنير] : **قوله** ﴿ **وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي** ﴾ المعنى : أني فعلته بوحي من الله ، وهذا يدل على النبوة .

وقال أبو الحسن – رحمه الله – كما في تفسيره [الخازن] : واستدل بعضهم بقوله سبحانه وتعالى ﴿ **وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي** ﴾ عن أن الخضر كان نبياً لأن هذا يدل على الوحي وذلك للأنبياء .

وقال ابن عطية كما في تفسيره [المحرر والوجيز] : ﴿ **وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي** ﴾ يقتضي أن الخضر نبي . اهـ

وقال ابن عادل كما في تفسيره [اللباب] : ﴿ **وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي** ﴾ أي : ما فعلته باختيارِي ورأيي ، بل فعلتهُ بأمر الله وإلهامه ، بأنَّ الإقدامَ على تنقيص أموالِ النَّاسِ وإراقةِ دمائهم ، لا يجوز إلاَّ بالوحي والنفي القاطع .

قال الإمام الشاطبي – رحمه الله – كما في [الموافقات][٢/ ٥٠٧] : « وأما قصة الخضر عليه السلام وقوله : ﴿ **وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي** ﴾ فيظهر به أنه نبي ، وذهب إليه جماعة من العلماء استدلالاً بهذا القول ،ويجوز للنبي أن يحكم بمقتضى الوحي من غير إشكال ، وإن سلم ، فهي قضية عين ولأمر ما ، وليس جارية على شرعنا ، والدليل على ذلك أنه لا يجوز في هذه الملة لولي ولا لغيره ممن ليس بنبي أن يقتل صبياً لم يبلغ الحلم ، وإن علم أنه طبع كافراً ، وأنه لا يؤمن أبداً ، وأنه إن عاش أرهق أبويه طغياناً وكفراً ، وإن أذن له من عالم الغيب في ذلك ، لأن الشريعة قد قررت الأمر والنهي ، وإنما الظاهر في تلك القصة أنها وقعت على مقتضى شريعة أخرى وعلى مقتضى كتاب موسى عليه السلام وإعلامه أن ثم علماً آخر وقضايا أخرى لا يعلمها هو » . اهـ

من أعجب عجائبهم

بل هو يدل على مرتبة عالية في الجهل أو التلبيس ؛ لأن معنى هذا الكلام أن الخضر قال لموسى : كل الذي سبق من قتل النفس وتعريض الأنفس للهلاك إنما فعلته من عندي وليس تنفيذاً لوحي آتاني من ربي وهذا باطل من وجوه :

الأول : أن الله تعالى قال : ﴿ **آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا** ﴾ وهذا يدل على أن الخضر إنما أتى بهذه الأشياء المستغربة مما علمه الله تعالى ويؤيد هذا أم موسى عليه السلام لما جاءه قال : ﴿ **هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا** ﴾ وهو إقرار من موسى بأن ما عند الخضر ـ علم علمه الله إياه . وعجيب كيف استساغ الصوفية هذا القول وهم الذين يسمون علم الخضر [العلم اللدني] أي العلم المأخوذ من لدن المولى عز وجل .

الثاني : أن الخضر قال لموسى : " يا موسى إني على علم من علم الله علمنيه الله لا تعلمه ، وأنت على علم من علم الله علمك الله لا أعلمه" أخرجه البخاري ومسلم ، وهذا الكلام من الخضر بالإضافة إلى كونه من الأدلة الدالة على نبوته فإنه يدل على أنه إنما رجع إلى هذا العلم الإلهي في تلك الإجراءات التي فعلها .

الثالث : أن الخضر – وهو يخاطب موسى بهذا الكلام – كان في مقام بيان الأسباب التي حملته على القيام بما قام به ، ولا يعقل على الإطلاق أن يقول له : إنما قمت بهذا العمل من عند نفسي ؛ لأن ذلك غير مقنع ، وليس بجواب يبرر مثل

ذلك الأعمال المستغربة ، ولا ريب أن هذا التأويل الضعيف لم يكن ليقتنع به أحد إلا من اتخذ على نفسه قراراً بعدم مخالفة الفكر الصوفي في أي مذهب من مذاهبه ، ولعل الشعراني – مع اهتمامه بهذا التأويل حتى نقله في كتابين – على الأقل – من كتبه – لعله لم يكن على قناعة تامة بوجاهته فذهب لأجل ذلك يلتمس باباً آخر يدخل منه أصحاب الإلهامات المخالفة للشريعة فيعملوا بها ، فقال : " ولعل من قال بصحة العمل بالإلهام فيما يبطله بعض العمومات أو النصوص يخصص تلك المبطلات بقصة الخضر – عليه السلام – وأمثالها " .

وتحليل هذا النص أن الشعراني أراد هنا أن يبحث عن دليل يتمسك به كل من ادعى إلهاً ليعمل بإلهامه حتى وإن كان مخالفاً لنصوص الشريعة العامة ، وذلك لأن تلك العمومات مخصصة بقصة الخضر ، وأمثالها من تجاوزات الأولياء .

ولاشك أن هذا الباب الذي طرقه الشعراني لو فتح لأدى إلى هدم الدين الإسلامي ، وإقامة دين آخر مصادره الدعاوي والإلهامات والمنامات والخواطر والواردات .

وقد قدمنا أن الخضر لم يكن مجرد ملهم ، لأن الإلهام لا يمكن الاعتماد عليه في قتل الأنفس ، بل كان نبياً موحى إليه بكل ما قام به من تصرفات .

وأما قوله " وأمثالها " فإنه دس خبيث إذ لو فرضنا فرضاً أن الخضر ـ ولي خالف شريعة موسى – عليه السلام – ، فكانت قصته مخصصة للعمومات القاضية بعدم جواز مخالفة الشريعة ، فأين لنا أن نعلم أن زيداً من الناس ولي من أولياء الله حتى يباح له انتهاك حرمات الدين ؟ بل إننا على العكس من ذلك لا نعرف الولي إلا

بطاعة الأوامر الشرعية والانتهاء عن النواهي علماً بأن الولي في الشرع هو من جمع بين الإيمان والتقوى . [تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي][١/ ٣٩٥-٣٩٦].

الدليل الرابع

قول الله تعالى

﴿ قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴾: [الكهف:٦٦]

لأن النبي لا يصح أن يكون متبوعاً للنبي مهما كان قدره عند الله .

قال الحافظ ابن كثير – رحمه الله – كما في [البداية والنهاية] [١/ ٣٢٨] : قول موسى له : ﴿ **قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا * قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا * وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا * قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا * قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا** ﴾[الكهف:٦٦-٧٠]، فلو كان ولياً وليس بنبي لم يخاطبه موسى بهذه المخاطبة ولم يرد على موسى هذا الرد بل موسى إنما سأل صحبته لينال ما عنده من العلم الذي اختصه الله به دونه ، فلو كان غير نبي لم يكن معصوماً ولم تكن لموسى وهو نبي عظيم ورسول كريم واجب العصمة كبير رغبة طالبه في علم ولي غير واجب العصمة ، ولما عزم على الذهاب إليه والتفتيش عليه ولو أنه يمضي حقباً من الزمان ... لما أجتمع به تواضع به وعظمه واتبعه في صورة مستفيد منه دل على أنه نبي مثله يوحى إليه كما يوحى إليه ، وقد خص من العلوم الدينية والأسرار النبوية بما لم يطلع الله عليه موسى الكليم نبي بني إسرائيل ، وقد احتج بهذا المسلك بعينه الرماني على نبوة الخضر – عليه السلام – .

قال الحافظ ابن حجر – رحمه الله – كما في كتابه [الزهر النضر] [٢٣] : فكيف يكون النبي تابعاً لغير نبي ؟ ، ثم نقل قول الثعلبي : هو نبي في سائر الأقوال .

وقال الإمام القرطبي – رحمه الله – كما في تفسيره [الجامع لأحكام القرآن] : فإم الإنسان لا يتعلم ولا يتبع إلا من فوقه ، وليس يجوز أن يكون فوق النبي من ليس بنبي . اهـ

وقال البقاعي – رحمه الله – كما في تفسيره : أي : علماً يرشدني إلى الصواب فيما أقصده ، ولا نقص في تعلم النبي من نبي . اهـ

وقال الإمام الألوسي – رحمه الله – كما في تفسيره [روح المعاني] : فلا يضر في منصبه أن يتعلم علوماً غيبية وأسراراً خفية لا تعلق لها بذلك من غيره ، لا سيما إذا كان ذلك الغير نبياً أو رسولاً أيضاً كما قيل في الخضر عليه السلام .اهـ

فمن دلائل نبوة الخضر أن موسى – عليه الصلاة والسلام – طلب مصاحبة الخضر ، لينال ما عنده من العلم الذي اختصه الله به ، فلو كان الخضر ولياً ولم يكن نبياً ، لم يكن معصوماً ، وموسى أراد أن يتعلم منه زيادة علمٍ على ما عنده من التوراة ، فلو كان ما عند الخضر مجرد إلهام ، فمعلوم أن ليس بعلم ولا تشريع ، ولا يفيد اليقين ، لجواز أن يكون للشيطان فيه مدخل ، فهل يُعقل أن يمضي موسى – عليه الصلاة والسلام – حقباً من الزمان ... ويتوضع له ، ويتبعه في صورة مستفيد منه ، ليتعلم منه شيئاً للشيطان فيه مدخل ؟! هل يستقيم هذا في العقل ؟! .[مصادر التلقي عند الصوفية][٤٧٧] .

الدليل الخامس

قول الله تعالى : ﴿ قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ﴾ : [الكهف:٧٨]

لأنه لو كان مجرد ولي تابع لنبي وقته لم يرغب بأي حال من الأحوال عن مفارقته نبي الله موسى عليه السلام .

وفي [المنار المنيف] نقلاً عن ابن الجوزي : " فكيف يرضى لنفسه بمفارقة مثل موسى – عليه السلام – ثم يجتمع بجهلة العباد الخارجين عن الشريعة الذين لا يحضرون جمعة ولا جماعة ولا مجلس علم وكل منهم يقول : قال لي الخضر ، جاءني الخضر ، أوصاني الخضر ، فيا عجباً له يفارق الكليم ويدور على صحبة جاهل لا يصاحبه إلا شيطان رجيم ، سبحانك هذا بهتان عظيم . [تقديس الأشخاص][١/ ٣٩٦] .

الدليل السادس

قول الله تعالى لموسى
« بلى لي بمجمع البحرين عبد هو أعلم منك »

كما ورد في صحيح البخاري برقم [٣٤٠١]، ومسلم [٢٣٨٠] وهذا لفظ البخاري قال : حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللهَّ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ دِينَارٍ قَالَ أَخْبَرَنِي سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ قَالَ قُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ إِنَّ نَوْفًا الْبَكَالِيَّ يَزْعُمُ أَنَّ مُوسَى صَاحِبَ الْخَضِرِ لَيْسَ هُوَ مُوسَى بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنَّمَا هُوَ مُوسَى آخَرُ فَقَالَ كَذَبَ عَدُوُّ اللهَّ حَدَّثَنَا أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ عَنْ النَّبِيِّ ص : «**أَنَّ مُوسَى قَامَ خَطِيبًا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ فَسُئِلَ أَيُّ النَّاسِ أَعْلَمُ فَقَالَ أَنَا فَعَتَبَ اللهُّ عَلَيْهِ إِذْ لَمْ يَرُدَّ الْعِلْمَ إِلَيْهِ فَقَالَ لَهُ بَلَى لِي عَبْدٌ بِمَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ** ...» . الحديث

قال الحافظ ابن حجر – رحمه الله – كما في كتابه [الزهر النضر][٢٣] و [الإصابة][٢/ ١١] : « فكيف يكون غير النبي أعلم من النبي وقد أخبر النبي ص في الحديث الصحيح : **بَلَى لِي عَبْدٌ بِمَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ** » .

وقال –رحمه الله - : « قوله : هو أعلم منك » : ظاهر في أن الخضر نبي ، بل نبي مرسل ، إذ لو لم يكن كذلك للزم تفضيل العالي على الأعلى وهذا باطل من القول . [الفتح][١/ ٢٦٥] .

الدليل السابع

قول الخضر لموسى

« يا موسى إني على علم من علم الله ، علمنيه الله لا تعلمه ، وأنت على علم من علم الله علمكه الله لا أعلم »

قال الفخر الرازي – رحمه الله – كما في تفسيره : « ومما يدل على أن الخضر عليه السلام نبي من أنبياء الله ؛ وليس ولياً فحسب قوله لموسى : « **يا موسى إني على علم من علم الله ، علمنيه الله لا تعلمه ، وأنت على علم من علم الله علمكه الله لا أعلم** » .

وقوله لموسى أيضاً : « **ما نقص علمي وعلمك من علم الله إلا مثل ما نقص هذا العصفور بمنقاره من البحر** » .

الدليل الثامن

قول الخضر لموسى

﴿ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ﴾ [الكهف :٦٨]

قال الفخر الرازي – رحمه الله – كما في [تفسيره] : أن ذلك العبد أظهر الترفع على موسى حيث قال : ﴿ **وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا** ﴾ وأما موسى فإنه أظهر التواضع حيث قال : ﴿ **وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا** ﴾ . وكل ذلك يدل على أن ذلك العالم كان فوق موسى ، ومن لا يكون نبياً لا يكون فوق النبي .

الدليل التاسع

قول الخضر

﴿ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴾

وقوله: ﴿ فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴾

وقوله: ﴿ فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ ﴾

فهذا يدل على أنه كان واثقاً من نتيجة عمله ، جازماً بها ، وهي غيب ، لا يُدرك إلا بوحي نبوة . ولو كان إلهاً لقال : فرجوت أن يكون كذا ، ولم يجزم به أبداً .

ومن دلائل نبوته أيضاً : أنه لو فعل ما فعل من الأمور بحكم الإلهام ، لوجب عليه القصاص في قتل الغلام ، ودفع قيمة تعييب السفينة ، ولا تُعفيه ولايته من ذلك لكن شيئاً من ذلك لم يحصل ، فدل على أنه كان يفعل بوحي من الله .[المصادر العامة للتلقي عند الصوفية][٤٧٧ - وما بعدها] .

الدليل العاشر

ما روي أن موسى عليه السلام لما وصل إليه قال : **السلام عليك . فقال : وعليك السلام يا نبي بني إسرائيل . فقال موسى عليه السلام : من عرفك هذا ؟ قال : الذي بعثك إلي .**

قالوا وهذا يدل على أنه عرف ذلك بالوحي والوحي لا يكون إلا مع النبوة .[تفسير الرازي] .

الدليل الحادي عشر

إطلاعه على بعض الغيب

إن المتأمل في قصة موسى والخضر – عليهم الصلاة والسلام – يجد أن الخضر كان مظهراً على الغيب وليس لذلك لأحد من الأولياء بدليل قوله تعالى : ﴿ **عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا** ﴾[الجن :٢٦] ، وذلك ظاهر في مواطن عدة من القصة أذكر ما تيسر منها :

- قوله لموسى عندما طلب منه الصحبة : ﴿ **إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا** ﴾ فهذا الجزم منه – عليه السلام لدليل واضح على أنه كان على علم بذلك ، ولم يكن من باب الظن والتخرص منه ، حاشاه ، ويؤيده زيادة جاءت في بعض طرق الحديث عقب هذه الآية بلفظ : « وكان رجل يعلم علم الغيب ، قد علم ذلك » .
- ومثله قوله في تأويل قتل الغلام : « وأما الغلام فطبع يوم طبع كافراً ، وكان أبواه قد عطف عليه ، فلو أنه أدرك إرهاقهما طغياناً وكفراً ، فأردنا أن يبدلهما ربهما خيراً منه زكاة وأقرب رحماً » .

زاد في رواية : « ووقع أبوه على أمه فعلقت فولدت منه خيراً منه زكاة وأقرب رحماً » .

وأخباره عليه السلام أن الغلام طبع كافراً وأن أباه وقع على أمه فحملت وولدت خيراً منه ، لهو من الأمور الغيبية المحضة التي لا مجال للإطلاع

عليها إلا من طريق النبوة والوحي ، فذلك من أقوى الأدلة على أنه كان نبياً ولم يكن رسولاً .

- ومن ذلك قوله ص : « لما لقي موسى الخضر – عليهما السلام – ، جاء طير ، فألقى منقاره في الماء فقال الخضر لموسى : تدري ما يقول هذا الطير ؟ قال : وما يقول ؟ قال : يقول : ما علمك وعلم موسى في علم الله إلا كما أخذ منقاري من الماء » .

فهذا صريح في أن الخضر ، قد علم منطق الطير ، وهو من الغيب الذي لا يعلمه البشر ، فهو في هذا على نحو النبي سليمان – عليه الصلاة والسلام – الذي حكى الله عنه في القرآن : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ** ﴾ [النمل : ١٦] .

وخلاصة القول في هذه المسألة أن الأدلة المتقدمة إذا تأملها المسلم ووعاها بقلبه ، تيقن أن الصواب القول بنبوة الخضر كما ذهب إليه جمهور العلماء ولذلك فعل ما فعل من العجائب التي لم يصبر لها موسى – عليه الصلاة والسلام – ، وهو كليم الله تعالى ، وبه نستطيع أن نحل تلك العقدة من الزندقة التي أشار إليها الحافظ ابن حجر فيما سبق ، ونحوها مما يعتقده كثير من الصوفية من الاعتقاد بالظاهر والباطن ، والحقيقة الشرعية التي أفسدت عقيدة كثير من الخاصة فضلاً عن العامة ، فاعتقدوا الصلاح بل الولاية في كثير من الفساق الذين لا يصلون ولا يشهدون جماعات

المسلمين ولا أعيادهم بدعوى الظاهر ، وأنهم في الباطن من كبار أولياء الله تعالى ، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً ، وما قصة شيخ الإسلام ابن تيمية مع البطائحية الذين كانوا يتظاهرون في دمشق بالولاية والكرامة في زمانه حتى نصره الله عليهم ، وقضى على باطنهم وباطلهم عن القارئ ببعيد . [موسوعة العلامة الألباني – رحمه الله –][٢/ ٥١٩] .

فسياق القصة بعمومها يدل على ذلك لما فيه من خرق السفينة وقتل النفس لأن ذلك لا يمكن أن يقع منه إلا عن طريق الوحي . لهذا يقول القرطبي :" والآية تشهد بنبوته لأن بواطن أفعاله لا تكون إلا بوحي " .

ويقول ابن حجر – رحمه الله – : " وغالب أخباره مع موسى هي الدالة على تصحيح قول من قال أنه كان نبياً " . [تقديس الأشخاص][١/ ٣٩٢] .

الفصل الثاني

القول في حياة الخضر وموته

من تصفح كتب الصوفية يجد أن شخصية الخضر عليه السلام ، حظيت لديهم باعتناء بالغ ، بحيث أصبح الأخذ عنه ولقياه عندهم أمراً لا يقبل اللجاج بل واستفاضت الأخبار ، وتواترت عنهم بذلك .

قال ابن عطاء الله السكندري : « واعلم أن بقاء الخضر قد أجمع عليه هذه الطائفة ، وتواتر عن أولياء كل عصر لقائه والأخذ عنه ، واشتهر ذلك إلى أن بلغ الأمر حد التواتر الذي لا يمكن جحده والحكايات في ذلك كثيرة ... ».

وقال الإمام النووي : « ... وحكايتهم في رؤيته والاجتماع به الأخذ عنه ، وسؤاله ، وجوابه ، ووجوده في المواضع الشريفة ، ومواطن الخير ، أكثر من أن يحصر ، وأشهر من أن يستر » .

وقال إسماعيل حقي : عن لقيا الصوفية للخضر : « ... حكايتهم أنهم رأوه في المواضع الشريفة ، وكلموه ، أكثر من أن يحصى ... » .

وقال اليافعي عن هذه الحكايات والاجتماعات : « ... لأن الصديقين رضي الله عنهم لم يزالوا في كل زمان يخبرون أنهم اجتمعوا به ، وذلك مشهور مستفيض عنهم ، ومروي عنهم في الكتب المشهورة التي رواها العلماء والثقات ... » .

وقد ولعت الصوفية ، وكلفت ، بإسناد شرائعهم المخترعة وأباطيلهم الملفقة إلى الخضر عليه السلام باعتباره أدرك زمن النبي ص ولقيه وأخذ عنه علوماً جمة ، وحقائق عرفانية ، فهو على هذا صحابي كغيره من الصحابة ، فإذا ثبت له شرف الصحبة ، وثبت بقاؤه إلى آخر الزمان ، فالأخذ عنه غير منكور ، والقول بجواز بل بوقوعه غير مهجور ، لذا قالت الصوفية بحياته واستمرارها إلى آخر الزمان وأكثروا بجلب الأدلة في هذا الصدد .اهـ[مصادر التلقي عند الصوفية][٢٥١] .

اختلاف الصوفية في الخضر

اختلف الصوفية في شخص الخضر عليه السلام فقال بعضهم الذي عليه الأكثر ، أن الخضر عليه السلام شخص إنساني باق إلى آخر الزمان ، وهو صاحب موسى بن عمرن عليه السلام وقد خالف في ذلك ، عبد الرزاق الكاشي ، فقال : « الخضر كناية عن البسط ... وأما كون الخضر عليه السلام شخصاً إنسانياً باقياً من زمان موسى عليه السلام إلى هذا العهد ، أو روحانياً ، يتمثل بصورته لمن يرشده فغير محقق عندي ... » .

وقال الصدر القونوي : « إن وجوده في عالم المثال » ، كما هو منقول عنه في كتب كشف الخدر عن أمر الخضر .

ومنهم من قال : إن الخضري رتبة ومقام يقوم بها رجل بعد رجل في كل زمان ، وقد نقله ابن عطاء الله السكندري ، وغلط القائلين به .

وقد خالفه اثنان من أبناء فرقته ، وهما أبو المواهب الشاذلي ، إذ قرر صحة القول

بأن الخضر مقام وعلى وفا ، إذ صحح القول : بأن لكل ولي خضر . بل قد يفهم من عبارة الأخير منهما إنكار كونه شخصاً إنسانياً ، ونص كلامه : « الخضر عليه السلام مظهر عرفاني ، رأى فيه موسى حين وجده ما سأل في مقامه العرفاني أن يراه في شهوده وذلك المظهر كان منه وإليه » . اهـ [السابق :٢٥٣] .

اختلافهم في مرتبته

اختلفوا في مرتبة الخضر عليه السلام على أربعة أقوال :

أ- أنه ولي وعبد صالح ملهم ، قال ابن حجر العسقلاني : «وذهب إلى أنه كان ولياً ، جماعة من الصوفية » وقال القشيري : « ولم يكن نبياً ، وإنما كان ولياً » ، وقال الدباغ : « ليس نبي وإنما هو عبد أكرمه الله بمعرفته ...» وهذا قول اليافعي أيضاً .

ب- أنه نبي : وممن ذهب إلى ذلك ، ابن حجر المكي ، وهو منقول عن إبراهيم اللقاني المالكي ، ولعل محمد بن أبي بكر باعلوي ، يقول به أيضاً ، فإنه قال في ترجمة أحد رجال كتابه [المشرع الروى] : « ... حتى جاءه نبي الله أبو العباس الخضر ... » .

ت- أنه رسول وهو قول الجزولى صاحب [دلائل الخيرات] وقال به أيضاً ابن عيسى شيخ الطريقة العيساوية .

ث- أنه في مقام دون النبوة وفوق الصديقية كما ذكر ذالكم ابن عربي في الباب الحادي والستين بعد المائة من فتوحاته المكية وقلده الشعراني مدعياً أن الخضر

أخبره بذلك عن نفسه !! . وهذا نص كلامه قال: « وأما مقامه فهو دون مقام النبوة وفوق مقام الصديقية ، كما أخبر ذلك عن نفسه . فهو مقام برزخي له وجه النبوة ، ووجه إلى الولاية فلذلك كان العارفون يصلون على الخضر عليه الصلاة والسلام تارة ، ويقولون : رضي الله عنه أخرى » .

درجات رؤية الخضر عند الصوفية

يرى الشعراني أن الخضر لا يجتمع يقظة إلا بالعارفين ، أما المريد فإنه يراه في المنام فقط ، ونص كلامه : « ثم إنه لا يجتمع بأحد من المريدين يقظة ، إنما يجتمع به في المنام لعجز المريد عن الصبر على صحبته في اليقظة ، بخلاف كل من العارفين فإنه يجتمع بهم في اليقظة ، ويعلمهم من العلم ما لم يكن عندهم هذا بالنسبة لأحوال رؤيته باعتبار أقسام الناس فيه . أما هو : فقد نصوا أنه يتراءى لأرباب الأحوال بصورة مختلفة . قال الغزالي : « ... فيشاهد أيضاً بالبصر صورة الخضر عليه السلام فإنه يتمثل لأرباب القلوب بصور مختلفة ».

وقال قوام الدين البسطامي : « ... واعلم أن الخضر عليه السلام يتمثل لأرباب القلوب بصور مختلفة ... » . ومثل هذا القول منقول عن المناوي في طبقاته الصغرى ، وقال الألوسي : « على أن زاعمي رؤيته يزعمون أنهم يرونه في صور مختلفة ، ولا يكاد يستقر لهم عليه السلام قدم على صورة واحدة ...»، فهذا التلون في الرؤية سببه أن المرائي إنما هو شيطان ، كما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية وعبارته : « وقد يرى الخضر على صور مختلفة وعلى صورة هائلة ، وأمثال ذلك ، وذلك لأنه هذا الذي قال أنه الخضر ، هو جني بل هو شيطان يظهر لم يرى أنه

يضله ... » .

فمن هذه العلامات التي ينعونه بها :

- أنه رجل مهيب .
- أبيض اللحية .
- مطرق الرأس على الدوام .
- عليه أزار ورداء لا يبليان ولا يخلقان من الصوف.
- أو أن سبباتيه ووسطه سواء .
- أو كون الأرض تهتز تحت قدمه خضراء .
- وأن طول قدمه ذراع .
- وأن إبهام يده اليمنى لا عظم فيها .
- وإن بوباء إحدى عينيه يتحرك كالزئبق .
- ومنهم من يدعي رؤيته في صورة بدوي له رائحة طيبة .
- أو يرى على شكل فارس .
- أو على غير هذه الهيئات . اهـ [السابق : ٢٥٦] .

القائلين بحياة الخضر عليه الصلاة والسلام

قد وردت طائفة كبيرة من الأخبار والحكايات تحتوي على لقاءات الصالحين معه ، وزيارتهم إياه في الخلوات والبراري والأودية والصحاري وعلى رحلاته وتنقلاته من بلد إلى بلد وأحاديثه مع الناس وبذله النصح لهم وتعليمه الأدعية لهم وما شاكل ذلك .

قال القرطبي– رحمه الله – في [أحكام القرآن][١١/ ٤١-٤٣] : والصحيح أنه حي.

وقال النووي : اختلفوا في حياة الخضر ، قال الأكثرون من العلماء هو حي موجود بين أظهرنا وذلك متفق عليه عند الصوفية وأهل الصلاح والمعرفة ، وحكاياتهم في رؤيته والاجتماع به والأخذ منه وسؤاله وجوابه ووجوده في المواضع الشريفة ومواطن الخير أكثر من أن تحصى وأشهر من أن تذكر .

قال أبو عمرو بن الصلاح : هو حي عند جماهير العلماء والصالحين والعامة منهم ، وإنما شذ بإنكاره بعض المحدثين .

وأنشد السيوطي في جواب مسألة عن الخضر :

للناس خلف شاع في الخضر وهل ... أودى قديماً أو حي ببقاء

ولكل قول حجة مشهورة ... تسمو على الجوزاء في العلياء

والمرتضى قول الحياة فكم له ... حجج تجل الدهر عن إحصاء

خضر وإلياس بأرض مثل ما عيسى وإدريس لقوا بسماء

هذا جواب ابن السيوطي الذي يرجو من الرحمن خير جزاء

وقال الثعلبي –رحمه الله - : « يقال إن الخضر لا يموت إلا في آخر الزمان عند رفع القرآن » .اهـ[الزهر النضر][٣٥] .

وقال إسماعيل حقي : عن لقيا الصوفية للخضر : « ... حكايتهم أنهم رأوه في المواضع الشريفة ، وكلموه ، أكثر من أن يحصى ... » .

وقال اليافعي عن هذه الحكايات والاجتماعات : « ... لأن الصديقين رضي الله عنهم لم يزالوا في كل زمان يخبرون أنهم اجتمعوا به ، وذلك مشهور مستفيض عنهم ، ومروي عنهم في الكتب المشهورة التي رواها العلماء والثقات ... » .

وقال ابن عطاء الله السكندري : « واعلم أن بقاء الخضر قد أجمع عليه هذه الطائفة ، وتواتر عن أولياء كل عصر لقائه والأخذ عنه ، واشتهر ذلك إلى أن بلغ الأمر حد التواتر الذي لا يمكن جحده والحكايات في ذلك كثيرة ... ».

ذكر ما ورد في تعمير الخضر عليه الصلاة والسلام

روى الدارقطني بإسناده عن ابن عباس – رضي الله عنه – قال : « نُسئ للخضر في أجله حتى يكذب الدجال » .

وذكر ابن إسحاق في [المبتدأ] ، قال : حدثنا أصحابنا أن آدم لما حضره الموت جمع بنيه وقال : إن الله تعالى منزل على أهل الأرض عذاباً فليكن جسدي معكم في المغارة حتى تدفنوني بأرض الشام فلما وقع الطوفان قال نوح لبنيه : إن آدم وعد الله أن يطيل عمر الذي يدفنه إلى يوم القيامة فلم يزل جسد آدم حتى كان الخضر ـ هو الذي تولى دفنه وأنجز الله له ما وعده ، فهو يحي إلى ما شاء الله أن يحي .

وروى ابن عساكر في ترجمة ذي القرنين عن أبي جعفر عن أبيه أنه سأل عن ذي القرنين فقال : « كان عبداً من عباد الله صالحاً وكان من الله بمنزلة ضخمة وكان قد ملك ما بين المشرق والمغرب وكان له خليل من الملائكة يقال له رفائيل ، وكان يزوره فبينما يتحدثان إذ قال له حدثنا كيف عبادتكم في السماء ؟ فبكى وقال : وما عبدتكم عند عبادتنا إن في السماء ملائكة قيام لا يجلسون أبداً يقول يا رب ما عبدناك حق عبادتك فبكى ذو القرنين ثم قال يا رفائيل ، إني أحب أن أعمر حتى أبلغ عبادة ربي حق طاعته ، قال : وتحب ذلك ؟ قال : نعم ، قال : فإن لله عيناً تسمى عين الحياة من شرب منها شربة لم يمت أبداً حتى يكون هو الذي يسأل ربه الموت ، قال ذو القرنين : فهل تعلم موضعها ؟ قال : لا غير أنا نتحدث في السماء أن لله ظلمة في الأرض لم يطأها إنس ولا جن ، فنحن نظن أن العين في تلك الظلمة

فجمع ذو القرنين علماء الأرض فسألهم عن عين الحياة فقالوا : ما نعرفها ، قال : فهل وجدتم في علمكم أن لله ظلمة ؟ فقال عالم منهم : لما تسأل عن هذا ؟ فأخبره فقال : إني قراءة في وصية آدم ذكر هذه الظلمة وأنها عند قرن الشمس فتجهز ذو القرنين وصار اثنتين عشرة سنة إلى أن بلغ طرف الظلمة فإذا هي ليست بليل وهي تفور مثل الدخان فجمع العساكر وقال إن أريد أن أسلكها فمنعوه فسأله العلماء الذين معه أن يكف على ذلك لئلا يسخط الله عليهم فأتى فانتخب من عساكر ستة ألاف رجل على ستة ألاف فرس أنثى بكر ، وعقد للخضر ـ على مقدمته في ألفي رجل ، فصار الخضر بين يديه ، وقد عرف ما يطلب لو كان ذو القرنين يكتم ذلك ، فبينما هو يسير إذ عارضه واد فظن أن العين في ذلك الوادي فلما أتى شفير الوادي استوقف أصحابه وتوجه فإذا هو على حافة عين من ماء فنزع ثيابه فإذا ماء أشد بياضاً من اللبن وأحلى من الشهد فشرب منه وتوضأ واغتسل ثم خرج ولبس ثيابه وتوجه ومر ذو القرنين فأخطأ الظلمة ... » فذكر حديثاً طويلاً .

وقيل إن الخضر وإلياس حيان يلتقيان كل سنة بالموسم ، وقيل كان سبب حياة الخضر فيما يحكى أنه شرب من عين الحياة ، وذلك أن ذا القرنين دخل الظلمة لطلب عين الحياة ، وكان الخضر على مقدمته ، فوقع الخضر ـ على العين فنزل واغتسل وشرب وصلى شكراً لله عز وجل وأخطأ ذو القرنين الطريق فعاد .

تعزيته للصحابة لوفاة الرسول ص

وفي المستدرك للحاكم عن أنس بن مالك – رضي الله عنه – قال لما قبض رسول الله

ص أحدق به أصحابه فبكوا حوله واجتمعوا فدخل رجل أصهب اللحية جسيم صبيح فتخطى رقابهم فبكى ، ثم التفت إلى أصحاب رسول الله ص فقال : إن في الله عزاء من كل مصيبة ، وعوض من كل فائت وخلافاً من كل هالك ، فإلى الله فأنيبوا ، وإليه فرغبوا ، ونظر إليك في البلاء فانظروا فإنما المصاب من لم يجبر وانصرف فقال بعضهم لبعض : أتعرفون الرجل ؟ فقال أبو بكر وعلي : نعم ، هذا أخو رسول الله ص الخضر .

قال الإمام الشنقيطي – رحمه الله – كما في [أضواء البيان] : والاستدلال على حياة الخضر بآثار التعزية كهذا الأثر الذي ذكرنا آنفاً – مردود من وجهين :

الأول : أنه لم يثبت ذلك بسند صحيح قال ابن كثير في تفسيره : وحكى النووي وغيره في بقاء الخضر إلى الآن ، ثم إلى يوم القيامة قولين ، ومال هو وابن الصلاح إلى بقائه .

وذكروا في ذلك حكايات عن السلف وغيرهم . وجاء ذكره في بعض الأحاديث ، ولا يصح شيء من ذلك . وأشهرها حديث التعزية وإسناده ضعيف.

الثاني : أنه على فرض أن حديث التعزية صحيح لا يلزم من ذلك عقلاً ولا شرعاً ولا عرفاناً أن يكون ذلك المعزي هو الخضر . بل يجوز أن يكون غير الخضر ـ من مؤمني الجن . لأن الجن هم الذين قال الله فيهم : ﴿ إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لاَ تَرَوْنَهُمْ ﴾ [الأعراف : ٢٧] . ودعوى أن ذلك العزي هو الخضر ـ تحكم بل دليل . وقولهم : كانوا يون أنه الخضر ليس حجة يجب الرجوع إليها . لاحتمال أن

يخطؤوا في ظنهم ، ولا يدل ذلك على إجماع شرعي معصوم ، ولا متمسك لهم في دعواهم أنه الخضر كما ترى .اهـ

وقيل إنه لا يموت إلا في آخر الزمان ، وقيل يعيش إلى أن يقاتل الدجال ، وقال ابن الصلاح جمهور العلماء والصالحين على أنه حي ، والعامة معهم ، وقال النووي : الأكثرون من العلماء على أنه حي موجود بين أظهرنا ، وذلك متفق عليه عند الصوفية وأهل الصلاح .

وأخرج ابن المنذر وغيره عن أبي العالية قال : كان الخضر عبداً لا تراه عين إلا من أراد أن يريه الله إياه فلم يراه من القوم إلا موسى ولو رآه القوم لحلوا بينه وبين خرق السفينة وبينه وبين قتل الغلام .

لقاءات الخضر عليه السلام

أخرج الخطيب وابن عساكر عن علي – رضي الله عنه – قال : بينما أنا أطوف البيت إذا رجل معلق بأستار الكعبة يقول : يا ما لا يشغله سمع عن سمع ، ويا من لا تغلطه المسائل ، ويا من لا يتبرم بإلحاح الملحين ، أذقني برد عفوك ، وحلاة رحمتك ، قلت : يا عبد الله : أعد الكلام ، قال : وسمعته ؟ قلت : نعم ، قال : والذي نفسي الخضر بيده – وكان هو الخضر – لا يقولوهن عند دبر الصلاة المكتوبة إلا غفرت ذنوبه وإن كانت مثل رمل عالج وعدد المطر وورق الشجر .

وأخرج أبو الشيخ في [العظمة] وأبو نعيم في [الحلية] عن كعب الأحبار قال : الخضر بن عاميل ركب في نفر في أصحابه حتى بلغ بحر الهند ، وهو بحر الصين

فقال : يا أصحابي دلوني ، فدلوه في البحر أياماً ولياليَ ، ثم صعد فقالوا : يا خضر ما رأيت : فلقد أكرمك الله وحفظ لك نفسك في لجة البحر ، فقال : استقبلني ملك من الملائكة فقال لي يا أيها الآدمي الخطاء من أين وإلى أين ؟ فقال : أردت أن أنظر إلى عمق هذا البحر ، فقال لي : كيف وقد أهوى رجل من زمان داوود عليه السلام ولم يبلغ ثلث قعره حتى الساعة ذلك ثلاثمائة ساعة .

وأخرج البيهقي في [شعب الإيمان] عن حجاج بن فرافصة أن رجلين يتبايعان عن عبد الله بن عمر ، فكان أحدهما يكثر الحلف ، فبينما هو كذلك إذ مر عليهم رجل فقاما عليهما ، فقال للذي يكثر الحلف منهما : يا عبد الله ، اتق الله ولا تكثر الحلف فإنه لا يزيد في رزقك إن حلفت ولا ينقص من رزقك إن لم تحلف . قال : أمضي لما يعينك قال : إن ذا ما يعينني ، قالها ثلاث مرات ، ورد عليه قوله فلما أراد أن ينصرف عنهما قال : اعلم أمن آية الإيمان أن تؤثر الصدق حيث يضرك على الكذب حيث ينفعك ، ولا يكن في قولك فضل على فعلك ، ثم انصرف . فقال عبد الله بن عمر : الحقه فاستكتبه هذه الكلمات ، فقال : يا عبد الله : أكتب لي هذه الكلمات رحمك الله ، فقال الرجل : ما يقدر الله من أمر يكن . فأعادهن عليه حتى حفظ ثم مشى حتى وضع أحدى رجليه في المسجد فما أدري أأرض لحسته أو سماء أقلعته . قال كأنهم يرونه الخضر أو إلياس .

إلياس والخضر

أخرج الحارث بن أسامة في مسنده بسند رواه عن أنس قال : قال رسول الله ص إن الخضر في البحر وإلياس في البر يجتمعان كل ليلة عن الردم الذي بناه ذو القرنين بين الناس وبين يأجوج ومأجوج ، ويحجان ويعتمران كل عام ويشربان من زمزم شربة تكفيهما إلى قابل .

وأخرج ابن عساكر عن ابن أبي رواد قال إلياس والخضر يصومان شهر رمضان في بيت المقدس ، ويحجان في كل سنة ، ويشربان من زمزم شربة تكفيهما إلى مثله من قابل .

وأخرج العقيلي والدارقطني في [الأفراد] وابن عساكر عن ابن عباس عن النبي ص قال : يلتقي الخضر وإلياس كل عام في الموسم ، فيحلق كل واحد منهما رأس صاحبه ويفترقان عن هؤلاء الكلمات : بسم الله ، ما شاء الله ، لا يسوق الخير إلا الله ، ما شاء الله لا يصرف الله ، ما شاء الله ما كان من نعمة فمن الله ، ما شاء الله لا حول ولا قوة إلا بالله .

ما ورد في لقائه بالرسول الكريم والصحابة والتابعين

وروى ابن بشكول في كتاب [المستغيثين بالله] عن عبد الله بن المبارك قال : خرجت إلى الجهاد ومعي فرس فبينما أن في الطريق صرع الفرس ، فمر بي رجل حسن الوجه طيب الرائحة فقال : تحب أن تركب فرسك ؟ قلت : نعم ، فوضع يده على جبهة الفرس حتى انتهى إلى مؤخره وقال : أقسمت عليك أيتها العلة عزة الله وبعظمة الله وبجلال جلال الله وبقدرة قدرة الله وبسلطان الله وبلا إله إلا الله وبما جرى به القلم من عند الله ، وبلا حول ولا قوة إلا بالله إلا انصرفت قال : فانتفض الفرس ، فأخذ الرجل بركابه وقال : اركب فركبت ولحقت بأصحابي فلما كان من غدة غد وظهر على العدو فإذا هو بين أيدينا ، فقلت : ألست صاحبي بالأمس ؟ قال : بلى ، فقلت : سألتك بالله من أنت ؟ فوثب قائماً ، فاهتزت الأرض تحته خضراء ، وإذا هو الخضر عليه السلام ، قال ابن المبارك : فما قلت هذه الكلمات على شيء إلا شفي بإذن الله .

وأخرج ابن عساكر بسنده عن محمد بن المنكدر قال : بينما عمر بن الخطاب يصلي على جنازة إذ بهاتف يهتف من خلفه : لا تسبقنا بالصلاة يرحمك الله ، فانتظره حتى لحق بالصف فكبر عمر وكبر معه الرجال ، فقال الهاتف : إن تعذبه فكثيراً عصاك ، وإن تغفر له ففقير إلى رحمتك ، فنظر عمر وأصحابه إلى الرجل ، فلما دفن الميت وسوى الرجل عليه من تراب القبر قال : طوبة لك يا صاحب القبر إن لم يكن عريفاً أو جابياً أو خازناً أو شرطاً . فقال عمر : خذوا بالرجل نسأله عن

صلاته وكلامه هذا عمن هو ؟ : فتوراى عنهم ، فنظروا فإذا أثر قدمه ذراع ، هذا والله الخضر الذي حدثنا عنه النبي ص .

وأخرج ابن عساكر بسنده عن الأوزاعي عن مكحول قال سمعت واثلة بن الأسقع قال : غزونا مع رسول الله ص غزوة تبوك ، حتى إذا كنا في بلاد جذام في أرض لهم يقال لها الحورة ، وكان قد أصابنا عطش شديد ، فإذا بين أيدينا آثار غيث فسرنا ملياً ، فإذا بغدير ، وإذا فيه جيفتان وآثار السباع قد وردت الماء فأكلت من الجيفتين وشربة من الماء فقلنا : يا رسول الله : هذه جيفتان وآثار السباع قد أكلت منهما ، فقال ص : نعم هما طهوران اجتمعا من السماء والأرض لا ينجسهما شيء وللسباع ما شربت في بطونها ولنا ما بقي ، حتى إذا ذهب ثلث الليل ، إذا نحن بمنادي ينادي بصوت حزين : اللهم اجعلني من أمة محمد المرحومة المغفور لها المستجاب لها المبارك عليها فقال رسول الله ص يا حذيفة ويا أنس أدخلا إلى هذا الشعب فانظرا ما هذا الصوت ؟ قالا : فدخلنا فإذا نحن برجل عليه ثياب بيض أشد بياضاً من الثلج ، وإذا وجهه ولحيته كذلك ما أدري أيهما أشد ضوء : ثيابه أو وجهه ، فإذا هو أعلى جسماً منا بذراعين أو ثلاثة ، فسلمنا عليه فرد علينا ثم قال : مرحباً ، أنتما رسل رسول الله ص ؟ قال : فقلنا نعم ، قالا: من أنت رحمك الله ؟ قال : أنا إلياس النبي ، خرجت أريد مكة فرأيت عساكركم ، فقال لي جند من الملائكة على مقدمتهم جبريل وعلى ساقهم ميكائيل هذا أخوك رسول الله ص فسلم عليه وألفه ، وارجعا إليه فأقرئاه مني السلام وقولا له : لم يمنعني من

الدخول إلى عسكركم إلا أني أتخوف أن تذكر الإبل ويفزع المسلمين من طوله ، فإن خلقي ليس كخلقكم وقولا له يأتينا . قال هذا حذيفة بن اليمان صاحب رسول الله ص فرحب به ثم قال : والله إنه لفي السماء أشهر منه في الأرض ، يسميه أهل السماء صاحب سر رسول الله ص قال حذيفة : هل تلق الملائكة ؟ قال : ما من يوم إلا وأنا ألقاهم ويسلمون علي وأسلم عليهم . فأتينا النبي ص فخرج علينا حتى أتينا الشعب وهو يتلألأ وجهه نوراً ، فإذا ضوء وجه إلياس وثيابه كالشمس . قال رسول الله ص : على رسلكم فتقدمنا النبي ص قدر خمسين ذراعاً ، وعانقه ملياً ، ثم قعد . قال : فرأينا شيئاً كهيئة الطير العظام بمنزلة الإبل قد أحدقت بهما وهي بيض ، وقد نشرت أجنحتها فحالت بيننا وبينهما ثم خرج لنا النبي ص فقال يا حذيفة ويا أنس تقدما . فتقدمنا ، فإذا بين أيديهم مائدة خضراء لم شيئاً قط أحسن منها قد غلب خضريتها بياضها ، فصارت وجهه وثيابنا خضراً ، وإذا عليها خبز ورمان وموز وعنب ورطب وبقل ما خلا الكراث ، ثم قال النبي ص كلوا بسم الله . قال فقلنا يا رسول الله أمن طعام الدنيا هذا ؟ قال : لا ، قال إلياس : هذا رزقي في كل أربعين يوماً وأربعين ليلة . أكلة تأتينا بها الملائكة ، وهذا تمام أربعين يوماً والليالي ، وهذا شيء يقول الله له كن فيكون . فقلنا : من أين وجهك . فقال : وجهي من خلف رمية في جيش من الملائكة مع جيش من المسلمين غزوا أمة من الكفار فقلنا : فكم يسار من ذلك الموضع الذي كنت فيه ؟ قال : أربعة أشهر ، وفارقته منذ عشرة أيام ، ،أنا أريد مكة ، أشرب في كل سنة مرة ، وهي تروي عطشي إلى تمام الموسم من قابل ، فقلنا : فأي المواطن أكثر مثواك

فقال : الشام وبيت المقدس والمغرب واليمن . وليس من مسجد من مساجد محمد ص إلا وأدخله صغيراً كان أو كبيرة . قلنا : الخضر متى عهدك به ؟ قال : منذ سنة كنت قد التقيت أنا وهو بالموسم وقد قال : إنك ستلقى محمد ص قبلي فأقرئه مني السلام فعانقه وبكى . ثم صافحناه وعانقناه وبكى وبكينا فنظرنا إليه حتى هوى في السماء كأنه يحمل حملاً ، فقلنا : يا رسول الله لقد رأينا عجباً إذ هوى إلى السماء فقال : إنه يكون بين جناحي ملك حتى ينتهي به من حيث أراد .

قال الحافظ ابن عساكر – رحمه الله – كما في [الزهر النضر] : هذا حديث منكر وإسناده ليس بالقوي .

وأخرج ابن عساكر أيضاً عن أسباط عن السدي قال : كان ملك ، وكان له أن يقال له الخضر وإلياس إخوة . فقال الناس للملك : إنك قد كبرت وابن الخضر ليس يدخل في ملكك فلو زوجته لكي يكون ولده ملكاً بعدك . فقال : له يا نبي تزوج فقال : لا أريد ، قال : لا بد لك ، قال : فزوجني ، فزوجه امرأة بكر ، فقال له الخضر : إنه لا حاجة لي في النساء ، فإن شئت عبدت الله معي وأنتي في طعام الملك ونفقته ، وإن شئت طلقتك ، فقالت : بل أعبد الله معك قال : فلا تظهري سري ، فإنك إن حفظت سري حفظك الله وإن أظهرت عليه أهلك أهلكك الله فكانت معه سنة لم تلد ، فدعاها الملك فقال : أنت شابة وابن شاب ، فأين الولد ، وأنت من نساء ولد ؟ فقالت : إن الولد بأمر الله ودعا الخضر فقال : أين الولد يا

بني ؟ قال : الولد بأمر الله . فقيل للملك : فعل هذه المرأة عقيم لا تلد فزوجه امرأة قد ولدت فقال للخضر : طلق هذه ، قال : تفرق بيني وبينها وقد اغتبطت بها ؟ قال : لا بد فطلقها ، ثم زوجه ثيباً قد ولدت ، فقال لها الخضر كما قال للأولى ، فقال : بل أكون معك . فلما كان الحول ودعاها فقال : إنك ثيب قد ولدت قبل ابني فأين الولد ، فقالت : هل يكون الولد إلا من بعل وبعلي مشتغل بالعبادة ، لا حاجة له في النساء ، فغضب لذلك ، فقال : أطلبوه فهرب ، فطلبه ثلاثة ، فأصابه اثنان منهم ، فطلب إليهم أن يطلقاه فأبيا وجاء الثالث وقال : لا تذهبا به ، فلعله يضر به وهو ولده ، فأطلقاه ثم جاؤوا إلى الملك فأخبره الاثنان أخذه وأن الثالث أخذه منهما فحبس الثالث ثم فكر الملك فدعا الاثنين فقال : أنتما أخفيتما ابني حتى هرب . فذهبا ، فأمر بهما فقتلا ودعا بالمرأة فقال له : أنت هربت ابني وأفشيت سره ، لو كتمت عليه لأقام عندي فقتلها وأطلق المرأة والرجل . فذهبت المرأة فاتخذت عريشاً على باب المدينة ، وكانت تحتطب وتبيعه وتتقوى بثمنه . فخرج رجل من المدينة فقير فقال : بسم الله ، فقالت المرأة : وأنت تعرف الله ؟ قال : أنا صاحب الخضر . قالت : وأنا امرأة الخضر فتزوجها وولدت له وكانت أبنت فرعون .

لقائه بالصالحين

وأخرج القشيري في رسالته بسنده عن الخواص قال : كنت في تيه بني إسرائيل . فإذا رجل يماشيني فتعجبت فألهمت أنه الخضر عليه السلام ، فقلت له بحق الحق من أنت ، قال : أخوك الخضر ، فقلت : أريد أن أسألك ، قال : أسأل ، قلت : ما

تقول في الشافعي ، قال : هو من الأوتاد ، قلت : ما تقول في أحمد بن حنبل ، قال : رجل صديق ، قلت : ما تقول في بشر الحافي ؟ ، قال : لم يخلف بعده مثله . قلت : بأي وسيلة رأيتك ؟ قال : ببركة أمك .

الخضر يعظ

روى حماد بن عمر النصيبي بسنده إلى علي بن الحسين أن مولى لهم ركب البحر فكسر به فبينما هو يسير على ساحله إذ نظر على رجل على شاطئ البحر ونظر إلى مائدة نزلت من السماء فوضعت بين يديه فأكل منها ثم رفعت فقال له : بالذي وفقك بما أرى أي عباد الله أنت ؟ قال : الخضر الذي تسمع به ، فقال : بماذا جاءك هذا الطعام والشراب ، قال : بأسماء الله العظام .

وأخرج أحمد في كتاب الزهد بسنده عن عبد الله بن عتبة بن مسعود قال : فبينما رجل في بستان بمصر في فتنة ابن الزبير مهموماً كئيبا ينكس في الأرض بشيء إذا رأسه فإذا بفتى صاحب مسحاة قد سنح له قائماً بين يديه فرفع رأسه فكأنه ازدراه فإذا بفتى فقال له : ما لي أراك مهموماً قال : لا شيء أما الدنيا فإن الدنيا عرض حاضر يأكل منها البار والفاجر ، وإن الآخرة أجل صادق يحكم فيه ملك قادر حتى ذكر أن لها مفصل كمفاصل اللحم من أخطأ شيئاً أخطأ الحق قال : فلما سمع ذلك منه أعجبه فقال : اهتمامي بما فيه المسلمون ، قال : فإن الله سينجيك بشفقتك على المسلمين وسل فمن ذا الذي سأل الله فلم يعطه أو دعاه فلم يجب أو توكل عليه فلم يكفه ، أو وثق به فلم ينجه ، قال : فطفقت أقول سلمني وسلم مني ، قال

: فتجلت ولم يصب فيها بشيء ، قال مصعر : يرون أنه الخضر .

أمر الخضر عليه السلام بالمعروف

قال ابن أبي الدنيا وساق سنداً إلى عمر بن محمد بن المنكدر قال فبينما رجل يمشي- يبيع ويحلف قام عليه شيخ فقال : يا هذا بع ولا تحلف ، فأعاد فحلف ، فقال : بع ولا تحلف ، قال : أقبل على ما يعينك ، قال : هذا ما يعينني ؟ ثم قال آثر الصدق على ما يضرك على الكذب فيما ينفعك وتكلم فإذا انقطع علمك فاسكت واتهم الكاذب فيما يحدث به غيرك ، قال : أكتب لي هذا الكلام ، فقال : إن يقدر الله شيء يكن ثم يره ، فكان يرون أنه الخضر .

نقض الأئمة لهذه الأخبار

وقد نقض هذه الأحاديث ابن الجوزي – رحمه الله – كما في [عجالة المنتظر في شرح حال الخضر] .

قال الإمام الشنقيطي – رحمه الله – كما في كتابه [أضواء البيان] وقد تصدى أبو الفرج الجوزي – رحمه الله – في كتابه [عجالة المنتظر في شرح حال الخضر] للأحاديث الواردة في ذلك من المرفوعات فبين أنها موضوعات ، من الآثار عن الصحابة والتابعين فمن بعدهم فبين أسانيدها ببيان أحوالها وجهالة رجالها وقد أجاد في ذلك وأحسن الانتقاد . اهـ

وقال الحافظ ابن حجر – رحمه الله- كما في [الفتح][٦/ ٤٨٥] : أخرج النقاش أخباراً كثير تدل على بقائه لا تقوم بشيءٍ منها الحجة .

وقال أيضاً – رحمه الله – كما في [فتح الباري][٦/ ٤٨٥] : لم يأت خبر صحيح أنه جاء النبي ص ولا قاتل معه ... وجاء في اجتماعه ببعض الصحابة فمن بعدم أخبار أكثرها واهي .اهـ

وقال الحافظ ابن كثير – رحمه الله – كما في [البداية والنهاية][١/ ٣٣٣] : روى ابن عساكر أيضاً أنه أجتمع بإبراهيم التيمي وبسفيان ابن عيينة وجماعة يطول ذكرهم ، وهذه الرواية والحكايات هي عمدة من ذهب إلى حياته إلى اليوم ، وكل

من الأحاديث المرفوعة ضعيفة جداً لا يقوم بمثله حجة في الدين ، والحكايات لا يخلو أكثرها عن ضعف في الإسناد .

قال ابن الجوزي –رحمه الله – في [المنتظم][١/ ٣٦١] : وقد زعم قوم أن الخضر حي إلى الآن واحتجوا بأحاديث لا تثبت وحكايات عن أقوام سالمي الصدور ويقول أحدهم لقيت الخضر ، فأما الأحاديث فمنها ما يروى عن أهل الكتاب أن الخضر كان مع ذي القرنين وأنه سبق إلى العين التي قصدها ذو القرنين لما وصف له أن من شرب منها خلد في الدنيا فشرب منها فأعطي الخلد لذلك .

ومنها ما أخبرنا به علي بن عبد الله بن عمر الدباس ، قال أخبرنا علي بن الحسين بن أيوب قال : أخبرنا أبو علي بن شاذان قال أخبرنا إبراهيم بن محمد المزكى ، قال حدثنا محمد بن إسحاق بن خريم ، قال أخبرنا محمد بن أحمد بن زيد ، قال حدثنا عمرو بن عاصم ، قال حدثنا الحسين بن رزين ، عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس قال لا أعلمه مرفوعاً إلى النبي ص قال : "يلتقي الخضر وإلياس في كل عام في الموسم ، فيحلق كل منهما رأس صاحبه ويتفرقان عن هؤلاء الكلمات : (بسم الله ما شاء الله لا يسوق الخير إلا الله ، بسم الله ما شاء الله لا يصرف السوء إلا الله ، ما شاء الله ما كان من نعمة فمن الله ، ما شاء الله لا حول ولا قوة إلا بالله) .

ومنها : ما روي عن الحسن البصري ، أنه قال وكل إلياس بالفيافي ووكل الخضر بالبحور وقد أعطي الخلد في الدنيا إلا الصيحة الأولى وأنهما يجتمعان في كل موسم في كل عام .

ومنها : ما أخبرنا به إسحاق بن إبراهيم الختلي ، قال : حدثني عثمان بن سعيد الأنطاكي قال : حدثنا علي بن الهيثم المصيصي ، عن عبد الحميد بن بحر ، عن سلام الطويل ، عن داود بن يحيى مولى عون الطفاوي ، عن رجل كان مرابطاً في بيت المقدس وبعسقلان قال : بينما أنا أسير في وادي الأردن إذا أنا برجل في ناحية الوادي قائم يصلي ، فإذا سحابة تظله من الشمس فوقع في قلبي أنه إلياس النبي ص فأتيته فسلمت عليه فانفتل من صلاته فرد علي السلام فقلت : من أنت رحمك الله ؟ فلم يرد علي شيئاً ، فأعدت القول مرتين ، فقال : أنا إلياس النبي ، فأخذتني رعدة شديدة خشيت على عقلي أن يذهب ، فقلت له : إن رأيت رحمك الله أن تدعو لي أن يذهب عني ما أجد حتى أفهم حديثك فدعا لي بثمان دعوات ، فقال : يا بر يا رحيم يا حي يا قيوم ، يا حنان يا منان ...فذهب عني ما كنت أجد فقلت إلى من بعثت ؟ قال إلى أهل بعلبك قلت : فهل يوحى إليك اليوم فقال : منذ بعث محمد ص خاتم النبيين فلا قلت : فكم من الأنبياء في الحياة : قال أربعة أنا والخضر في الأرض ، وإدريس وعيسى في السماء .

قلت : فهل تلتقي أنت والخضر ؟ قال : نعم في كل عام بعرفات . قلت : فما حديثكما ؟ قال : يأخذ من شعري وآخذ من شعره . قلت :فكم الأبدال ؟ قال : هم ستون رجلاً ، خمسون ما بين عريش مصر ـ إلى شاطئ الفرات ،ورجلان بالمصيصة ، ورجلان بأنطاكية وسبعة في سائر الأمصار تسقون بهم الغيث وبهم ينصرون على عدوهم وبهم يقيم الله أمر الدنيا حتى إذا أراد أن يهلك الدنيا أماتهم

جميعاً .

وقد روي أنه كان في زمن نبينا ص وروي من حديث علي عن النبي ص إثبات حياة الخضر .

ومن حديث أنس أن رسول الله ص بعثه إلى الخضر وقال أدعو لرسول الله ص وإن أبا بكر ،وعمر ، وعثمان ، وعلياً ، وابن عمر ، أثبتوا وجوده ، وأنه رآه عمر بن عبد العزيز ، ورواه مسلمة ورباح بن عبيدة كلاهما عن عمر بن عبد العزيز قالوا : رواه إبراهيم التيمي وإبراهيم بن أدهم وأحمد بن حنبل .

ثم عقب – رحمه الله – بقوله : **وكل هذه الأحاديث لا تثبت والحديث الذي ذكرناه عن ابن عباس فيه الحسن بن رزين ، قال العقيلي : وهو مجهول .**

وفي الحديث الثاني السلاَّم بن الطويل ، قال يحيى ليس بشيء ، وقال البخاري والرازي والنسائي والدارقطني : هو متروك ، وقال أبو حيان : يروي الموضوعات كأنه المعتمد لها ، وقال : وعبد الحميد بن بحر : لا يحل الاحتجاج به بحال ، وداود مجهول ، والرجل المرابط لا يدرى من هو .

وقد روى مسلمة بن مصلقة ، إنه رأى إلياس وجرى له معه نحو ما سبق وربما ظهر الشيطان لشخص فكلمه ، وربما قال بعض المتهمين لبعض أنا الخضر ، وأعجب الأشياء أن يصدق القائل أنا الخضر وليس لنا فيه علامة نعرفه بها .

قال أبو الحسين بن المنادى ونقلته من خطه عن تعمير الخضر وهل هو باقٍ في الدنيا أم لا ، فإذا أكثر المغفلين مغرورون بأنه باقٍ من أجل ما قد روي وساق ما قد ذكرنا ثم قال أما حديث أنس فواه بالوضع ، وأما خبر ابن عباس فضعيف

بالحسن بن رزين ، وأما قول الحسين فمأخوذ عن غير أهل ملتنا مربوط بقول بعضهم إن الخضر شرب من العين التي قصدها ذو القرنين موصول بما قيل إنه الرجل الذي يقتله الدجال .

والمسند من ذلك إلى أهل الذمة فساقط لعدم ثقتهم ، وخبر مسلمة فلا شيء ، وخبر رباح كالرياح .

وقال : وهذه الأخبار واهية الصدور والإعجاز لا تخلو في حالها من أحد أمرين : أن تكون أدخلت من حديث بعض الرواة المتأخرين استغفالاً .

وأما أن يكون القوم عرفوا حالها فرووها على وجه التعجب فنسبت إليهم على سبيل التحقيق .

قال : والتخليد لا يكون لبشر لقول الله – عز وجل – لنبيه محمد ص : ﴿ **وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ** ﴾[**الأنبياء :٣٤**] ، وأهل الحديث يتفقون على أن حديث أنس منكر الإسناد سقيم المتن بيَّن أثر الصنعة وأن الخضر لم يراسل نبينا ولم يلقه .اهـ

وقال – رحمه الله – كما في [الزهر النضر][٣٨] : أعلم وفقك الله أن البلية في مثل هذه الأشياء تقع من ثلاث جهات :

أحدها : الجهل بالمنقولات ، فترى خلقاً كثيرون يرون الشيء مسند فيبنون عليه ، ولا يعرفون صحته من سقمه ، وهذه علة قد عمت جمهور العلماء اليوم في كل فن من العلوم ، فإذا قيل لأحدهم ، قال هو سماعي ، وعندي بإسناد ، وكم قد أدخل

في حديث رسول الله ص ما ليس منه بمثل هذا .

الثانية : سلامة الصدور ، وكثرة الغفلة ، عند قوم من الأخيار فيرى شخصاً فيغيب عنه ، أو يرى منه ما يشبه الكرامة وقد سمع أقوماً يقولون الخضر حي ، فيقول رأيت الخضر ،وربما رأى أحدهم شخصاً اسمه الخضر ، فيتوهمه خضر موسى . وربما لقيه شيطان من الإنس أو من الجن ، فقال له : أنا الخضر

والثالثة حب الصيت والذكر وهو يختص بالملتمسين فيقول قائلهم لقيت يجعل له جاها بين العوام وهؤلاء قد اختصروا على دني الثياب ليروا بعين الزهد واستعملوا خشوع الأبدان ليقال عنهم أهل تقوى يتعبوا جوارحهم في التعبد وأن التعبد نصيب صعب وادعاء الزهد نصيب سهل وقد حذرت منه في كتابي المسمى بتلبيس إبليس . اهـ

وقال - رحمه الله - والدليل على أن الخضر ليس بباق في الدنيا أربعة أشياء القران والسنة وإجماع المحققين من العلماء والمعقول ...[الزهر النضر].

ذكر القائلين بوفاة الخضر عليه الصلاة والسلام

ذهب جمهور أهل العلم إلى أن الخضر مات وأجمع عليه المحققون منهم ، ومنهم البخاري ، وإبراهيم الحربي الذي سئل عن بقائه فقال : « من أحال على غاب لم ينتصف منه وما ألقى هذا بين الناس إلا الشيطان » ، وأبو الخطاب ابن دحية ، وأبو الحسين بن المنادى الذي قال : « بحثت عن تعمير الخضر وهل هو باق أم لا ، فإذا أكثر المغفلين مغترون بأنه باق من اجل ما روي في ذلك » ، وابن الجوزي حيث حكم على الأحاديث الواردة في حياته بالبطلان وحيث ألف كتاباً مستقلاً في الموضوع أورد فيه أدلة دامغة على موته ، والقاضي أبو يعلى حيث ذكر جملة من الأدلة على موته ، والقاضي أبو بكر بن العربي ، وأبو حيان الأندلسي ، وشيخ الإسلام ابن تيمية ، حيث قال : « والصواب الذي عليه محققوا العلماء إن إلياس والخضر ماتا » ، وحيث ذكر ابن القيم أن ابن تيمية ألف جزءاً في وفاة الخضر ، وكذلك ابن القيم ، والحافظ ابن حجر حيث استعرض أدلة الجانبين ثم قال : « والذي تميل إليه النفس من حيث الأدلة القوية خلاف ما يعتقده العوام من استمرار حياته » ، ومنهم العلامة محمد الأمين الشنقيطي ، وغير هؤلاء من العلماء المحققين .اهـ [تقديس الأشخاص][٤٠١] .

قلت : والألوسي في [روح المعاني] ، ونقل في «البحر» عن شرف الدين أبي عبد

الله محمد بن أبي الفضل المرسي القول بموته أيضاً . ونقله ابن الجوزي عن علي بن موسى الرضا – رضي الله تعالى عنهما – أيضاً .

قال القطان في تفسيره [٢/ ٣٨١]: « وعلماء السنة يقولون انه ميت » وبذلك جزم ابنُ المناوي وإبراهيم الحربي وأبو طاهر العبادي ، وابو يعلى الحنبلي ، وأبو الفضل بن تامر ، والقاضي ابو بكر بن العربي ، وابو بكر بن النقاش ، وابن الجوزي . قال ابو الحسين بن المناوي : بحثت عن تعمير الخضر ، وهل هو باق أم لا فإذا اكثر المغفلين مغترون بأنه باق.

ذكر أدلة القائلين بوفاته

الدليل الأول

قوله تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ ﴾

قال الإمام الطبري – رحمه الله – كما في [تفسيره] عند الآية : «يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: وما خلدنا أحدا من بني آدم يا محمد قبلك في الدنيا فنخلدك فيها، ولا بد لك من أن تموت كما مات من قبلك رسلنا » .

الإمام ابن كثير – رحمه الله – كما في تفسيره : «وقد استدل بهذه الآية الكريمة من ذهب من العلماء إلى أن الخضر، عليه السلام، مات وليس بحي إلى الآن؛ لأنه بشر، سواء كان وليًا أو نبيًا أو رسولا وقد قال تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ ﴾ » .

وقال القطان – رحمه الله – في [تفسيره] : «وما جعلنا لأحدٍ من البشر قبلك ايها النبي الخلود في هذه الدنيا».

وقال في [التفسير الميسر] عند الآية : «وما جعلنا لبشر من قبلك – أيها الرسول – دوام البقاء في الدنيا، أفإن مت فهم يُؤمِّلون الخلود بعدك؟ لا يكون هذا. وفي هذه الآية دليل على أن الخضر عليه السلام قد مات؛ لأنه بشر ».

وقال الشوكاني – رحمه الله – كما في تفسيره [فتح القدير] :« أي دوام البقاء في الدنيا ﴿ أَفَإِيْن مّتَّ ﴾ بأجلك المحتوم ﴿فَهُمُ الخالدون ﴾أي أفهم الخالدون؟ ».

وقال الإمام البغوي – رحمه الله – كما في تفسيره [معالم التنزيل]: «قوله عز وجل: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ ﴾دوام البقاء في الدنيا، ﴿أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ ﴾ أي أفهم الخالدون إن مت؟» .

الإمام النيسابوري – رحمه الله – كما في تفسيره : «فبين الله سبحانه أن حاله كحال من تقدمه من الأنبياء في المفارقة من دار الدنيا».

وقال الإمام الألوسي – رحمه الله – كما في تفسير [روح المعاني] : «أي الخلود والبقاء في الدنيا لكونه مخالفاً للحكمة التكوينية والتشريعية ، وقيل الخلد المكث الطويل ومنه قولهم للأثافي : خوالد ، واستدل بذلك على عدم حياة الخضر ـ عليه السلام » .

الإمام الشنقيطي – رحمه الله – كما في تفسيره [أضواء البيان] : « ومعنى الآية : أن الله لم يجعل لبشر قبل نبيه الخلد . أي دوام البقاء في الدنيا ، بل كلهم يموت ، » ، وقال في تفسير سورة الكهف : « ظاهر عموم قوله تعالى : ﴿ **وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ ـ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ** ﴾ ، فقوله لبشر نكرة في سياق النفي فهي تعم كل بشر فليزم من ذلك نفي الخلد عن كل بشر من قبله . والخضر ـ بشر ـ من قبله فلو كان شرب من عين الحياة وصار حياً خالداً إلى يوم القيامة لكان الله قد جعل لذلك البشر الذي هو الخضر من قبله الخلد » .

وقال ابن الجوزي – رحمه الله –كما في كتابه [المنتظم] نقلاً عن الحسين بن المنادى في معرض رده على من قال بتعمير الخضر – عليه السلام – : والتخليد لا يكون لبشر لقول الله – عز وجل – لنبيه محمد ص : ﴿ **وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ** ﴾[**الأنبياء :٣٤**] .

وقال الحافظ ابن حجر –رحمه الله – كما في كتابه [الزهر النضر] نقلاً عن ابن الجوزي : « والدليل على أن الخضر ليس بباق في الدنيا أربعة أشياء – ومنها القرآن – قوله تعالى : ﴿ **وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ** ﴾ فلو دام البقاء له كان خالداً » .

وقال القنوجي – رحمه الله – كما في تفسيره : « والحق ما ذكرناه عن البخاري وأضاربه في ذلك ولا حجة في قول أحداً كائناً من كان إلا الله سبحانه وتعالى ورسوله ص وما في ذلك نص مقطوع به ، ولا حديث مرفوع إليه ص حتى يعتمد ويصار إليه ، فظاهر الكتاب والسنة نفي الخلد وطول التعمير لأحد من البشر ، وهما قاضيان على غيرهما ولا يقضي غيرهما عليهما » .

الدليل الثاني

قوله تعالى :

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ * فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾

وجه الاستدلال بهذه الآيات

قال الإمام الشنقيطي – رحمه الله – كما في [أضواء البيان] :« وقوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ * فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ ، وهذه الآية الكريمة على القول بان المراد بالرسول فيها نبينا محمد ص كما قاله ابن عباس وغيره ، فالأمر واضح وعلى أنها عامة فهو ص يدخل في عمومها دخولاً أولياً ، فلو كان الخضر حياً في زمنه لجاءه ونصره وقاتل تحت رايته ، وقد روى الإمام أحمد في مسنده عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ص قال " **والذي نفسي بيده لو أن موسى كان حياً ما وسعه إلا أن يتبعني** " ، وقد دلت هذه الآية الكريمة – المتقدم ذكرها – أن الأنبياء كلهم لو فرض أنهم أحياء مكلفون في زمن رسول الله ص لكانوا كلهم أتباعا له وتحت أوامره وفي عموم شرعه كما

أن صلوات الله وسلامه عليه لم اجتمع بهم الإسراء رفع فوقهم كلهم ، ولما هبطوا معه إلى بيت المقدس وحانت الصلاة أمره جبريل عن أمر الله أن يؤمهم فصلى بهم في محل ولايتهم ودار إقامتهم فدل على أنه الإمام الأعظم والرسول الخاتم المبجل المقدم صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين ، فإذا علم هذا وهو معلوم عند كل مؤمن علم أنه لو كان الخضر حياً لكان من جملة أمة محمد ص وممن يقتدي بشرعه ، لا يسعه إلا ذلك .

هذا عيسى ابن مريم عليه السلام إذا نزل في آخر الزمان يحكم بهذه الشريعة المطهرة لا يخرج منها ولا يحيد عنها ، وهو أحد أولي العزم الخمسة المرسلين ، وخاتم أنبياء بني إسرائيل .

والمعلوم أن الخضر لم ينقل بسند صحيح ولو حسن تسكن النفس إليه أنه اجتمع برسول الله ص ولم يشهد معه قتالاً في مشهد من المشاهد . وهذا يوم بدر يقول الصادق المصدوق فيما دعا ربه عز وجل واستنصره واستفتحه على من كفره : " **اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض** " وتلك العصابة كانت تحتها سادة المسلمين يومئذ ، وسادة الملائكة حتى جبريل ، كما قال حسان بن ثابت في قصيدة له : في بيت يقال بأنه أفخر بيت قالته العرب :

وببئر بدر إذ يرد وجوههم جبريل تحت لوائنا ومحمد . انتهى

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله - : « لو كان الخضر حياً لوجب عليه أن يأتي إلى النبي صلى الله عليه وسلم ويجاهد بين يديه ويتعلم منه » . [

روح المعاني] .

قال الحافظ ابن كثير – رحمه الله – كما في تفسيره عند الآية : « يخبر تعالى أنه أخذ ميثاق كل نبي بعثه من لدن آدم، عليه السلام، إلى عيسى، عليه السلام، لَمَهْمَا آتى الله أحدَهم من كتاب وحكمة، وبلغ أيّ مبلَغ، ثم جاءه رسول من بعده، ليؤمنَنَّ به ولينصرَنَّه، ولا يمنعه ما هو فيه من العلم والنبوة من اتباع من بعث بعده ونصرته ... ، ﴿فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ ﴾ أي: عن هذا العهد والميثاق، ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ » .

وقال الإمام الألوسي – رحمه الله – كما في تفسيره : « واختلف في المراد من الآية فقيل : إنها على ظاهرها ويؤيد ذلك ما أخرجه ابن جرير عن علي كرم الله تعالى وجهه قال : لم يبعث الله تعالى نبياً آدم فمن بعده إلا أخذ عليه العهد في محمد صلى الله عليه وسلم لئن بعث وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه ويأمره فيأخذ العهد على قومه ثم تلا الآية » .

وقال الإمام الشوكاني – رحمه الله – كما في تفسيره [فتح القدير] : « قال سعيد بن جبير ، وقتادة ، وطاووس ، والحسن ، والسديّ إنه أخذ الله ميثاق الأنبياء : أن يصدّق بعضهم بعضاً بالإيمان ، ويأمر بعضهم بعضاً بالكتاب إن بذلك ، فهذا معنى النصرة له ، والإيمان به ، وهو ظاهر الآية ، فحاصله أن الله أخذ ميثاق الأول من الأنبياء أن يؤمن بما جاء به الآخر ، وينصره » .

وقال الواحدي – رحمه الله – كما في تفسيره [الوجيز] : « [ما] ها هنا للشرط ،

والمعنى ، لئن آتيتكم شيئاً من كتاب وحكمة ، ومهما آتيتكم ﴿ ثمَّ جاءكم رسول مصدِّق لما معكم لتؤمننَّ به ﴾ ويريد بميثاق النَّبيِّن عهدهم ليشهدوا لمحمد عليه السَّلام أنَّه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو قوله : ﴿ ثمَّ جاءكم رسولٌ مصدقٌ لما معكم ﴾ يريد محمداً ﴿ لتؤمننَّ به ولتنصرنَّه ﴾ أَيْ : إن أدركتموه ولم يبعث الله نبيَّاً إلاَّ أخذ عليه العهد في محمَّدٍ عليه السَّلام ، وأمره بأنْ يأخذ العهد على قومه لَيُؤمننَّ به ، ولئنْ بُعث وهم أحياءٌ لينصرنَّه » .

وقال حقي – رحمه الله – كما في تفسيره : « قال قوم إن الله تعالى اخذ الميثاق من النبيين خاصة أن يصدق بعضهم بعضا واخذ العهد على كل نبي أن يؤمن بمن يأتي بعده من الأنبياء وينصره إن أدركه وان لم يدركه أن يأمر قومه بالإيمان به وبنصرته إن أدركوه فأخذ الميثاق من موسى أن يؤمن بعيسى ومن عيسى أن يؤمن بمحمد عليه السلام وإذا كان هذا حكم الأنبياء كان الأمم بذلك أولى وأحرى أي اذكر يا محمد وقت اخذ الله ميثاق الأنبياء وأممهم ﴿لما آتيتكم ﴾اللام موطئه لان اخذ الميثاق بمعنى الاستحلاف » .

الدليل الثالث

قول النبي ص

«أَنْشُدُكَ عَهْدَكَ وَوَعْدَكَ اللَّهُمَّ إِنْ شِئْتَ لَمْ تُعْبَدْ بَعْدَ الْيَوْمِ أَبَدًا »

قال الإمام البخاري – رحمه الله – في صحيحه [٤٨٧٧] : حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ حَدَّثَنَا خَالِدٌ عَنْ خَالِدٍ عَنْ عِكْرِمَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ وَهُوَ فِي قُبَّةٍ لَهُ يَوْمَ بَدْرٍ : «**أَنْشُدُكَ عَهْدَكَ وَوَعْدَكَ اللَّهُمَّ إِنْ شِئْتَ لَمْ تُعْبَدْ بَعْدَ الْيَوْمِ أَبَدًا** فَأَخَذَ أَبُو بَكْرٍ بِيَدِهِ وَقَالَ حَسْبُكَ يَا رَسُولَ اللهِ فَقَدْ أَلْحَحْتَ عَلَى رَبِّكَ وَهُوَ فِي الدِّرْعِ فَخَرَجَ وَهُوَ يَقُولُ ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ بَلْ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ﴾».

قال القسطلاني – رحمه الله – كما في أرشاد الساري [٩/ ١٣] : « أي إن شئت لا تعبد بعد هذا يسلطون على المؤمنين ، وفي حديث عمر – رضي الله عنه – عند مسلم : « **اللَّهُمَّ إِنْ تَهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةُ مِنْ أَهْلِ الإِسْلاَمِ لاَ تُعْبَدْ فِى الأَرْضِ** » وإنما قال ذلك لأنه علم أنه خاتم النبيين ، فلو هلك ومن معه حينئذ لم يبعث الله عز وجل أحداً ممن يدعو إلى الإيمان » . اهـ

وقال الحافظ ابن حجر – رحمه الله- كما في [الفتح][٧/ ٣٥٥] : «إنما قال ذلك لأنه علم أنه خاتم النبيين ، فلو هلك هو ومن معه حينئذ لم يبعث أحد ممن يدعو إلى

الإيمان ولاستمر المشركون يعبدون غير الله ، فالمعنى : لا يعبد في الأرض بهذه الشريعة » .

وقال – رحمه الله - في [الفتح][٦/ ٤٨٥] : ولم يأت في خبر صحيح أنه جاء إلى النبي ص ولا قاتل معه ولقد قال ص يوم بدر " **إن تهلك هذه العصبة لا تعبد في الأرض** " فلو كان الخضر موجوداً لم يصح هذا النفي ، وقال ص : " **رحم الله موسى لوددنا لو كان صبر يقص علينا من خبرهما** " ، فلو كان الخضر موجوداً لما حسن هذا التمني و لأحضره بين يديه وأراه العجائب ، وكان أدعى لإيمان الكفرة لاسيما أهل الكتاب ، وجاء في اجتماعه ببعض الصحابة فمن بعدهم أخبار أكثرها واهي . اهـ

وقال الإمام الشنقيطي – رحمه الله – كما في [أضواء البيان][٤/ ١٦٤] : « قوله ص : " **اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض ...**" الحديث

ومحل الشاهد قوله ص فعل في سياق النفي فهو بمعنى لا يقع لك عبادة في الأرض ...

ثم قال : فاعلم أن ذلك النفي يشمل بعمومه وجود الخضر حياً في الأرض على تقدير وجوده حياً في الأرض فإن الله يعبد في الأرض ولو على فرض هلاك تلك العصابة من أهل الإسلام لأن الخضر ما دام حياً فإنه يعبد في الأرض ».

وقال – رحمه الله – كما في [المصدر السابق] : « والمعلوم أن الخضر لم ينقل بسند

صحيح ولو حسن تسكن النفس إليه أنه اجتمع برسول الله ص ولم يشهد معه قتالاً في مشهد من المشاهد . وهذا يوم بدر يقول الصادق المصدوق فيما دعا ربه عز وجل واستنصره واستفتحه على من كفره : " **اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض** " وتلك العصابة كانت تحتها سادة المسلمين يومئذ ، وسادة الملائكة حتى جبريل ، كما قال حسان بن ثابت في قصيدة له : في بيت يقال بأنه أفخر بيت قالته العرب :

وببئر بدر إذ يرد وجوههم جبريل تحت لوائنا ومحمد » .اهـ

الدليل الرابع

قول النبي ص

« أَرَأَيْتَكُمْ لَيْلَتَكُمْ هَذِهِ فَإِنَّ رَأْسَ مِائَةِ سَنَةٍ مِنْهَا لَا يَبْقَى مِمَّنْ هُوَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ أَحَدٌ ».

قال البخاري – رحمه الله – كما في صحيحه [١١٦] : حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ عُفَيْرٍ قَالَ حَدَّثَنِي اللَّيْثُ قَالَ حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ خَالِدِ بْنِ مُسَافِرٍ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ سَالِمٍ وَأَبِي بَكْرِ بْنِ سُلَيْمَانَ بْنِ أَبِي حَثْمَةَ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ قَالَ صَلَّى بِنَا النَّبِيُّ ص الْعِشَاءَ فِي آخِرِ حَيَاتِهِ فَلَمَّا سَلَّمَ قَامَ فَقَالَ « **أَرَأَيْتَكُمْ لَيْلَتَكُمْ هَذِهِ فَإِنَّ رَأْسَ مِائَةِ سَنَةٍ مِنْهَا لَا يَبْقَى مِمَّنْ هُوَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ أَحَدٌ** » .

قال العيني – رحمه الله – كما في [عمدة القاري][٤/ ٨٧] : «قال النووي : المراد أن كل من كان تلك الليلة على الأرض لا يعيش بعدها أكثر من مائة سنة » .اهـ

وقال القسطلاني – رحمه الله – كما في [إرشاد الساري][٢/ ٢١٥] : « (**أَرَأَيْتَكُمْ لَيْلَتَكُمْ**) : **أي من ليلتكم ، (لَا يَبْقَى) : أي لا يعيش ، (مِمَّنْ هُوَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ أَحَدٌ**) بعدها أكثر من مائة سنة سوء قل بعد ذلك أم لا » .

مجانبة الإمام القرطبي للصواب
في استدلاله بالحديث على حياة الخضر والرد عليه

قال – رحمه الله – في [أحكام القرآن][١١/ ٤١-٤٣] : والصحيح أنه حي على ما نذكر والحديث أخرجه مسلم عن عبد الله بن عمر قال صلى بنا رسول الله ص ذات ليلة صلاة العشاء في آخر حياته ، فلما سلم قام فقال : " **أرأيتكم ليلتكم هذه ، فإنه على رأس مائة سنة منها لا يبقى ممن هو على ظهرها أحد** " ، قال ابن عمر : فوهل الناس في مقالة رسول الله ص تلك فيما يتحدثون من هذه الأحاديث عن مائة سنة . وإنما قال رسول الله ص : " **لا يبقى ممن هو اليوم على ظهر الأرض أحد** " **يريد بذلك أن ينخرم ذلك القرن** " .

رواه أيضاً من حديث جابر بن عبد الله قال سمعت النبي ص قبل أن يموت بشهر " **تسألوني عن الساعة وإنما علمها عند الله وأقسم بالله مع على الأرض من نفسٍ منفوسة تأتي عليها مائة سنة** "، وفي أخرى قال سالم تذاكرنا أنها هي مخلوقة يومئذ ، وفي أخرى " ما من نفس منفوسة اليوم يأتي عليها مائة سنة وهي حية " وفسرها عبد الرحمن صاحب [السقاية] قال : نقص العمر . وعن أبي سعيد الخدري نحو هذا الحديث .

قال علماؤنا : وحاصل ما تضمنه هذا الحديث أنه عليه الصلاة السلام اخبر قبل موته بشهر أن كل من كان من بني آدم موجوداً في ذلك لا يزيد عمره عن مائة

سنة ، لقوله عليه الصلاة والسلام (ما من نفس منفوسة) وهذا اللفظ لا يتناول الملائكة ولا الجن ، وهذا إنما يقال بأصل وضعه على من يعقل فتعين أن المراد بنو آدم وقد بين ابن عمر هذا المعنى فقال يريد بذلك أن ينخرم ذلك القرن ، ولا حجة لمن استدل به على بطلان قول من يقول أن الخضر حي لعموم قوله ص : " **ما من نفس منفوسة** " ، لأن العموم وإن كان مؤكد الاستغراق فليس نصاً فيه ؛ بل هو قابل للتخصيص فكما لم يتناول عيسى عليه السلام فإنه لم يمت ، ولم يقتل فهو حي بنص القرآن ومعناه لا يتناول الدجال مع أنه حي بدليل حديث الجساسة فكذلك لم يتناول الخضر عليه السلام وليس مشاهد للناس ، ولا ممن يخالطهم حتى يخطر ببالهم حالة مخاطبة بعضهم بعضاً ، فمثل هذا العموم لا يتناوله ، وقيل إن أصحاب الكهف أحياء ويحجون مع عيسى عليه الصلاة والسلام ، وكذلك فتى موسى في قول ابن عباس ، وقد ذكر أبو إسحاق في كتاب [العرائس] له والصحيح أن الخضر نبي معمر محجوب عن الأبصار .اهـ

رد الإمام الشنقيطي

فقال - رحمه الله - في [أضواء البيان] :**كلام القرطبي هذا ظاهر السقوط كما لا يخفى على من له إلمام بعلوم الشرع** فإنه اعترف بأن حديث النبي ص عام في كل نفس منفوسة عموماً مؤكداً ، لأن زيادة (من) قبل النكرة في سياق النفي تجعلها نصاً صريحاً في العموم لا ظاهراً فيه كما مقرر في الأصول .

ولو فرضنا صحة ما قاله القرطبي – رحمه الله تعالى – من أنه ظاهر في العموم لا نص فيه ، وقررنا أنه قابل للتخصيص كما هو الحق في كل عام ، فإن العلماء مجمعون على وجوب استصحاب عموم العام حتى يرد دليل مخصص صالح للتخصيص سنداً ومتناً .

فالدعوة المجردة عن دليل من كتاب أو سنة لا يجوز أن يخصص بها نص من كتاب أو سنة أو إجماع .

وقوله : (إن عيسى لم يتناوله عموم الحديث) فيه أن لفظ الحديث من أصله لم يتناوله عيسى ، لأن النبي ص قال فيه : (لم يبق على ظهر الأرض ممن هو بها اليوم أحد) فخصص ذلك بظهر الأرض فلم يتناول اللفظ من السماء وعيسى قد رفعه الله من الأرض كما صرح بذلك في قوله تعالى : ﴿ **بَلْ رَفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ** ﴾ وهذا واضح جداً كما ترى .

ودعوة حياة أصحاب الكهف وفتى موسى ظاهرة السقوط ولو فرضنا حياتهم فإن الحديث يدل على موتهم عند المائة كما تقدم ولن يثبت شيء يعارضه .

وقوله : (**إن الخضر ليس مشاهداً للناس ، ولا ممن يخالطهم حتى يخطر ببالهم حالة مخاطبة بعضهم بعضاً**) يقال فيه أن الاعتراض يتوجه عليه من جهتين :

الأولى : أن دعوى كون الخضر محجوباً عن أعين الناس كالجن والملائكة دعوى لا دليل عليها والأصل خلافها ، لأن الأصل أن بني آدم يرى بعضهم بعضاً لاتفاقهم في الصفات النفسية ، ومشابهتهم فيما بينهم .

الثانية : أنه لو فرضنا أنه لا يراه بنو آدم ، فالله الذي أعلم النبي بالغيب الذي هو

هلاك كل نفس منفوسة في تلك المائة عالم بالخضر ، وبأنه نفس منفوسة .

ولو سلمنا جدلياً أن الخضر فرد نادر لا تراه العيون ، وأن مثله لم يقصد بالشمولي في العموم فأصح القولين عند علماء الأصول شمول العام والمطلق الفرد النادر والفرد الغير مقصود خلافاً لم زعم أن الفرد النادر وغير المقصود لا يشملهما العام ولا المطلق وبهذا كله يتبين أن النصوص الدالة على موت كل إنسان على وجه الأرض ظرف تلك المائة ونفي الخلد عن كل بشر قبله تتناول بظواهرها الخضر ولم يخرج منها نص صالح للتخصيص .

وقال – رحمه الله – : وهذا نص صحيح صريح في أن الدجال حي موجود في تلك الجزيرة البحرية المذكورة في حديث تميم الداري ، وأنه باق وهو حي حتى يخرج في آخر الزمان وهذا نص صالح التخصيص يخرج الدجال من عموم حديث (موت كل نفس في تلك المائة) . والقاعدة المقررة في الأصول أن العموم يجب إبقاؤه على عمومه فما أخرجه نص مخصص خرج من العموم وبقى العام حجة في بقية الأفراد التي لم يدل على إخراجها دليل . وهو الحق ومذهب الجمهور .اهـ

شبه والرد عليها

وهي قولهم إن ابن حجر – رحمه الله – عده في كتابه [الإصابة في تمييز الصحابة] من جملة الصحابة ، ومن هنا استدلوا على بقائه إلى عهد النبي ص ولقائه به .

وقد رد ابن حجر بنفسه على هذه الشبهة فقال : في مقدمة كتابه [الزهر النضر] : أما بعد فقد تكرر السؤال قديماً وحديثاً عن الخضر صاحب موسى ، هل هو نبي أو ولي وهل عُمِّرَ إلى أن أدرك بعثة النبي ص وعاش بعده أو مات قبل ذلك أو هو حي باق ، وعن كثير من أخباره ، وكنت جمعت في ذلك مما صنفه فيه بخصوصه من القدماء أو جعفر ابن المنادى ، ومن المتأخرين أو الفرج ابن الجوزي ، وأضفت إليهما أشياء ظفرت بها بطول التتبع ، ثم لما التزمت في كتابي [الإصابة في تمييز الصحابة] أن أذكر كل من جاء في خبر من الأخبار أنه لقي النبي ص لزم ذكري للخضر عليه السلام لأنه من شرط [الإصابة] وإن لم يرد في خبر ثابت أنه من جملة الصحابة وقد أفردته الآن ليقف كل سائل عنه على كل ما كنت قرأته وسمعته وجعلته أبواباً . اهـ

الشبهة الثانية : أنه موجود على وجه الخفاء

قال بعضهم : إن الخضر شخص لا تراه العيون ولو رأوه لأنكروا عليه خرقه للسفينة وغير ذلك...

قلت : إن هذا القول باطل فقد جاء في الحديث المذكور فيه قصة الخضر مع موسى قوله ص : « **فَانْطَلَقَا يَمْشِيَانِ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ فَمَرَّتْ بِهِمَا سَفِينَةٌ كَلَّمُوهُمْ أَنْ يَحْمِلُوهُمْ فَعَرَفُوا الْخَضِرَ فَحَمَلُوهُ بِغَيْرِ نَوْلٍ** » فقوله : « **كَلَّمُوهُمْ أَنْ يَحْمِلُوهُمْ فَعَرَفُوا الْخَضِرَ** »: ينفي اتصاف الخضر – عليه السلام – بالاتصاف بصفة الخفاء التي هي من خصائص الجن .

قال الإمام الشنقيطي – رحمه الله – في تفسيره [أضواء البيان] : أن دعوى كون الخضر محجوباً عن أعين الناس كالجن والملائكة دعوى لا دليل عليها والأصل خلافها ، لأن الأصل أن بني آدم يرى بعضهم بعضاً لاتفاقهم في الصفات النفسية ، ومشابهتهم فيما بينهم .

ولو سلمنا جدلياً أن الخضر فرد نادر لا تراه العيون ، وأن مثله لم يقصد بالشمولي في العموم فأصح القولين عند علماء الأصول شمول العام والمطلق الفرد النادر والفرد الغير مقصود خلافاً لم زعم أن الفرد النادر وغير المقصود لا يشملهما العام ولا المطلق وبهذا كله يتبين أن النصوص الدالة على موت كل إنسان على وجه الأرض ظرف تلك المائة ونفي الخلد عن كل بشر قبله تتناول بظواهرها الخضر ولم يخرج منها نص صالح للتخصيص .